حروب الجيل الرابع

تأليف

د. صابر منصور

مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع
٥١ش ابراهيم خليل المطرية
ت : ٢٢٥١١١١٠ – موبايل : ٠١٢٢٩٨٧١٢٣٧

اسم الكتاب : حروب الجيل الرابع

المؤلـــــــف : صابر منصور

الناشـــــــــر : مؤسسة دار الفرسان

تصميم الغلاف: فرى برنت- ٠١٠٤٤٧٠٦٤٥

رقم الإيداع : ٨٠٠٥

طبعة أولى : ٢٠١٦

فهرسة أثناء النشر

منصور ، صابر

حروب الجيل الرابع /صابر منصور – القاهرة .- ط١: مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦.

١٦٠ ص ؛ ٢٤ سم

تدمك : ٣-٧٥-٦١٦٩-٩٧٧-٩٧٨

١- الحروب

٢- الحرب النفسية

أ- العنوان ٣٥٥,٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)

صدق الله العظيم
طه ١١٤

مقدمة

إن التعامل مع ظاهرة التطرف إنما يحيلنا إلى مفهوم كلمة (عنف) كلمه غير ساكنه كلمه محتدمة وجارحه وتحمل سمات متناقضة ظاهريا . ولكن ذلك لا يجعلنا نبحر باتجاه النوايا الحسنه التي تغلق هذه الظاهرة المنفلتة من عقالها والتي تكسبها الرؤيا المضادة بعدا لا شرعيا يستند بالدرجة الأساس إلى تاريخ طويل من العلاقة ألقائمه على مبدأ القراءة المخالفة والمضادة في العالم.

وتقف خلف كل سلوك جملة دوافع وعوامل تفسر أسباباً كامنة تعلل انتهاج السلوك المعين .وظاهرة التطرف والعنف لها أسبابها ودوافعها وعلينا تحديدها بشكل واضح للوصول إلى جوهر الحلول وجذورها، ولا شك أننا سنكون في حالة إرباك إذا لم نعرف حقاً الأسباب التي تدفعنا وتسيرنا، من هنا علينا تحاشي الأحكام المتسرعة لظاهرة العنف .

وهي من أهم الظواهر التي تؤثر سلبياً في بناء الفرد والمجتمع على السواء والتي أصبحت في أيامنا جزءاً لا يتجزأ من مجموع السلوكيات في الحياة اليومية والتي تظهر في غالبية جوانب الحياة , في العائلة, في العمل, في المؤسسات على أنواعها ويضمنها مؤسسات التربية والتعليم والأماكن العامة وغيرها.

هذه الظاهرة هي ظاهره العنف والتطرف التي بدأت تنتشر في مجتمعاتنا وإن كانت تلبس أوجه مختلفة ومتنوعة فهي في ماهيتها

متشابهة وتظهر كرد فعل سلبي وتكون موجهة إلى الفرد نفسه أو إلى الغير أو للاتجاهين معاً .

أسباب التطرف ودوافعه كثيرة وهي تنحدر من مصادر شعورية أو عقلانية. ولما لهذه الظاهرة من تأثير ومخاطر فأن المجتمعات ترفضها وتولي الأهمية لمعالجتها ومحاربتها ونحن بدورنا نتكاتف سوية كمجتمع متحضر للعمل على منع التطرف في جميع جوانب حياتنا البيت والأهل من خلال دورهم في تربيه أولادهم يهتمون ببناء أفراد صالحين يتعاملون فيما بينهم ومع الآخرين وفي المجتمع من منطلق التسامح وعدم العنف .

فالمدرسة والأسرة ومالهما من دور كبير في تنشئة الطلاب أجيال المستقبل وهي المسئولة عن تطور هذه الأجيال , من هذا المنطلق نرى أن المدرسة والبيت شركاء في تنمية هذه الأجيال وتضع نصب أعينها فجاء هذا الكتاب لنتعرف سوياً على أسباب تلك الظاهرة المقيتة التى ظهرت فى مجتمعاتنا العربية وكذلك كيفية حماية أبناءنا منها لكى يتخرج من بين جنباتها رجال ونساء, أعضاء نافعون صالحون , يتعاملون في مجالات حياتهم بالأخلاق الحميدة ويرفضون العنف.

المؤلف

صابر منصور

العنف سمة من سمات الطبيعة البشرية

لو أمعنا النظر فى البدايات الفكرية لموضوع العنف ... لتساءلنا ... أهو العنف الذى بدأ به الإنسان الأول ضد الحيوانات قديماً باحثاً عن طعامه أولاً .. أم أنه تلك ... الجريمة الشنعاء التى قام بها أحد الأشخاص ضد آخر مثله ... فقام بقتله .

العنف فى الأساطير القديمة :

إن العنف قديم قدم الوجود ، وجد منذ بداية التاريخ ، ومنذ أول حدث للصراع بين البشر المتمثل فى الخلاف بين قابيل وهابيل وشهدت البشرية أحداثاً كثيرة تميزت بالعنف ، فالتاريخ ليس أكثر من سجل لجرائم بنى البشر وحماقاتهم ومصائبهم ، ووافق " فولتير " كذلك على أن التاريخ ليس أكثر من صورة للجرائم والمحن الإنسانية .

وينسج التاريخ السياسى من وقت لآخر ويحيى الأساطير التى تمجد العنف ، وتكون مثل هذه الأساطير بصفة عامة معبرة عن الخير والشر مع إضفاء الشرعية على العنف الذى يدافع عن الخير ضد الشر.

وتضفى الأساطير على من قاموا بهذا العنف المبررات لأفعالهم وتقدير الدور الذى أدوه . وفوق كل ذلك ينظر إليهم – رغم ما فى ذلك من وهم على أن بيدهم الحل النهائى لكل أنواع القهر التى هى حقيقة واقعة .

ويصل هذا الحل أحياناً لحد خلق وجهة نظر عامة مناسبة لهم ، وإنكار كل مالا يناسبهم .

والعنف سمة من السمات الطبيعية البشرية ، وعلى مدى التاريخ نجد إثباتات وشواهد تدل على لجوء الإنسان إلى العنف استجابة لانفعالاته من الغضب ، والخوف وحتى لمجرد المتعة .

وأكد " فيليب برنو وآخرون " أنه قلما تتمتع وقائع بمثل ما يتمتع به العنف من التصاق مخزن بالأحداث الراهنة . لا لأنه ظاهرة حديثة ، فقد يكون أقدم رفيق عرفه الإنسان . ومن المرجح أن الإنسان البدائى ، حينما أتاحت له أولى ومضات العقل أن يصنع بعض الأسلحة البدائية للدفاع عن نفسه ، أستعملها أيضاً ليفتك بأمثاله .

والاستعداد للعنف من الصفات الطبيعية القائمة فى الكائنات الحية عموماً بما فيها الإنسان . وإن اختلفت درجات ذلك الاستعداد باختلاف الأفراد وهو ليس من الصفات السيئة دائماً . ذلك أن التقدم والتطور الذى يتحقق فى النوع الإنسانى إنما يرجع أساساً إلى مدى الاستعداد نحو المقاتلة والعنف وإلى نظرته نحو الآلات المختلفة بتطويرها وجعلها أكثر فاعلية فى تحقيق تقدمه وتطوره .

وظهرت بوادر استخدام العنف فى البداية بين صفوف السكان الملونين ، وكانت فى أوجها من خلال الجماعات العنصرية .

الفكرة الدينية :

الفكرة الدينية المذكورة فى تاريخ الكتب المقدسة لا تقل أهمية أيضاً عن قصة تاريخية تبدو مغرية بالتناقل بين الأجيال وذلك عندما يلح الأطفال بالسؤال كيف وجد الإنسان على سطح الأرض ... كيف توالد .... كيف عاش .... من أين أتى ؟

إنها أسئلة خطيرة جداً ... إذا إن الإجابة عادة ما تكون محشوة بفكرة الأخوين اللذين قتل أحدهما الآخر ولسبب أو لآخر قد يبدو للعديدين مغرياً بأن يقتل إنساناً لأجل أن يبقى على قيد الحياة ... وقد يجد البعض الآخر أنه سبب معقول على الأقل .

وليست قضية العنف والصراعات الدامية فى حياة المجتمعات الإنسانية أمراً نادر الحدوث لا يتوقع المرء وقوعه فى حياة المجتمعات والحضارات فى التاريخ ، التى كثيراً ما تقرن فى الذهن بأحداث دامية .

وإذا أضيف ذلك إلى ما زخر به تاريخ الأمة الإسلامية من أحداث الصراعات ، وممارسات العنف والاقتتال بين الكثير من الفئات والطوائف ، وما شكلته تلك الصور الدامية ، ابتداء من مقتل الخليفة الرشد " عثمان بن عفان " وما تلاها من أحداث وصراعات وعنف ، ولعل أبرز مثل فيه انفجار العنف مجدداً ضد "على " (رضى الله عنه) ، بشكل أشد ضراوة من ذى قبل ، وهو ما عرف بـ (ظاهرة الخوارج) ، فالعنف أمر مصاحب للمجتمعات الإنسانية منذ نشأتها .

جذور العنف

من أين نتقصى المنشأ الحقيقى للعنف ؟ وهل تنبع جذور العنف من القيم الاجتماعية و الثقافية ؟

حيث إننا مهتمون بتقصى جذور السلوك العنيف ، فإننا أن نعود بأذهاننا إلى الوراء إلى الطفولة حيث أفكارنا أفعالنا طور التكوين وحيث عقولنا تتوق إلى المعرفة . لذا يجب أن نبدأ فى رسم صورة للبيئة التى يمكن أن يولد بها الشخص العنيف ، فنجد أن هناك ثلاثة محاور رئيسية يمثل العنف فيها تهديداً ، وتشمل : العنف المنزلى ، العنف المدرسى ، وكل صور العنف بالبيئة المحيطة بهذا الشخص .

وترجع جذور العنف إلى مرحلة الطفولة وليس للمرجعية الطبيعية للعنف ولكن لكونه سلوكاً متعلما ومكتسبا من البالغين بصورة كبيرة فنحن نكيف الأطفال على الاعتقاد فى العنف كإحدى الوسائل المؤثرة والمقبولة للوصول إلى الغاية بعينها حيث أننا نمنحهم صورة رومانتيكية عن مختلف جوانب الحياة .

والعنف كما ذكر من قبل أنه سلوك مركب ومعقد ويرجع فى جذوره إلى عوامل بيئية ونفسية واجتماعية واقتصادية وأكاديمية .

وأرجح " جيل ديلافون " جذور العنف إلى تاريخ الأمة الفتية المضطرب ، أى الحكاية العنيفة المبنية على الأسطورة التى تأسس عليها

الغرب الموحش ، حيث لا يمكن للإنسان سوى الاعتماد على قواه الخاصة ، وحيث ينبغى عليه ، فى الغالب ، أن يؤمن وحده الدفاع عن نفسه والدفاع عن ممتلكاته وأسرته .

واتفقت الآراء المختلفة على أن العنف ظاهرة اجتماعية قديمة ، وذلك بغض النظر عن الشكل الذى اتخذه هذا العنف . ويؤكد " محمد نجيب " أن المصدر الأساسى للعنف فى تاريخ البشرية كان محاولة التسلط ،والتى جاءت فى أشكال متعددة ، سواء تسلط فرد على آخر ، أو تسلط طبقة على المجتمع الواحد ، وكذلك تسلط مجتمع أو إقليم على مجتمع آخر ، فهذا التسلط بفرض قوة على قوة أخرى يرتبط بعنف وعنف آخر مضاد ، وبذلك فإن التسلط من أجل السيطرة هو أصل العنف ومصدره .

والعنف مصطلح طفا على سطح الحياة العامة فى مصر بشكل واضح منذ سبعينات القرن العشرين وما يزال ، وأيد ذلك الندوات السياسية والعلمية التى تعقد لمناقشة أسبابه اقتراح وسائل علاجية .

وربما يسهل للبعض إطلاق تسمية " عصر العنف " على القرن العشرين وبخاصة النصف الثانى منه ، مقابل تسميات أخرى أطلقت عليه مثل العصر الذرى ، أو عصر القلق ، أو عصر العقل ولكن بنظرة موضوعية وشاملة .

مفهوم حروب الجيل الرابع

الجيل الرابع من الحروب Fourth-Generation Warfare: ٤GW) أو "الحرب اللا متماثلة" هو الصراع الذي يتميز بعدم المركزية بين أسس أو عناصر الدول المتحارَبة من قِبل دول أخرى . استُخدم هذا المصطلح لأول مرة في عام ١٩٨٩ من قبل فريق من المحللين الأمريكيين ، من بينهم المحلل الأمريكي ويليام سترِگس ليند لوصف الحروب التي تعتمد على مبدأ اللا مركزية.

أطلق اسم حرب الجيل الرابع ٤GW على الحرب على المنظمات الإرهابية حسب المفهوم الأمريكي والتي يكون طرفي الحرب فيها جيش نظامي لدولة ما مقابل لا دولة أو عدو أو خلايا خفية منتشرة في أنحاء العالم

واختلف المحللون الاستراتيجيون والعسكريون في تعريف أجيال الحروب فبعضهم من يعرفها بـــ:

- حرب الجيل الأول :هي الحرب التقليدية بين دولتين لجيشين نظاميين ،الخبير العسكري والكاتب الأمريكي ويليام ليند يعرفها أنها حروب الحقبة من ١٦٤٨ حتى ١٨٦٠ حيث عرفت بالحروب التقليدية (بالإنجليزيةConventional War :) بين جيوش نظامية وأرض معارك محددة بين جيشين يمثلون دول في حرب ومواجهة مباشرة .
- حرب الجيل الثاني :يعرفها البعض بحرب العصابات Guerilla : War والتي كانت تدور في دول أمريكا اللاتينية ، الخبير الأمريكي

ويليام ليند يعرفها بالحرب الشبيهة بالجيل الأول من الحروب التقليدية ولكن تم استخدام النيران والدبابات والطائرات بين العصابات والأطراف المتنازعة .

- حرب الجيل الثالث :يعرفه البعض بالحروب الوقائية أو الاستباقية : Preventive War كالحرب على العراق مثلاً ، ويعرفها الخبير الأمريكي ويليام لينـد ويوصفها بأنها طوُرَت من قبل الألمان في الحرب العالمية الثانية وسميت بحرب المناورات وتميزت بالمرونة والسرعة في الحركة واستخدم فيها عنصر المفاجأة وأيضاً الحرب وراء خطوط العدو .

- حرب الجيل الرابع :اتفق الخبراء العسكريون بأن حرب الجيل الرابع هي حرب أمريكية صرفة طورت من قبل الجيش الأمريكي وعرفوها بـــ"الحرب اللامتماثلةAsymmetric Warfare :" حيث وجد الجيش الأمريكي نفسه يحارب لا دولة بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١، بمعنى أخر محاربة تنظيمات منتشرة حول العالم وهذه التنظيمات محترفة وتملك إمكانيات ممتازة ولها خلايا خفية تنشط لضرب مصالح الدول الأخرى الحيوية كالمرافق الاقتصادية وخطوط المواصلات لمحاولة إضعافها أمام الرأي العام الداخلي بحجة إرغامها على الانسحاب من التدخل في مناطق نفوذها ومثال على هذه التنظيمات : القاعدة ، حزب الله.

وتستخدم فيها وسائل الأعلام الجديد والتقليدي ومنظمات المجتمع المدني والمعارضة والعمليات الأستخبارية والنفوذ الأمريكي في أي بلد

لخدمة مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وسياسات البنتاغون.

الحرب الجديدة حسب تعريف أول من أطلقها في محاضرة علنية وهو البروفيسور الأمريكي "ماكس مايوراينگ "في معهد الأمن القومي الإسرائيلي حيث عرفها بنقاط مختصرة كالأتي: [٣]

- الحرب بالإكراه
- إفشال الدولة
- زعزعة استقرار الدولة ثم فرض واقع جديد يراعي المصالح الأمريكية

حروب الجيل الرابع والحرب النفسية

حروب الجيل الرابع باختصار شديد

حروب الجيل الرابع ليست وليدة اليوم وبل هى حروب قديمة حيث كانت الحروب النفسية لها دور كبير في الحروب التقليدية..واستخدم الانسان و منذ القدم أساليب و وسائل متعددة للسيطرة على أفكار و معنويات غيره وتسخيرهم وفق مشيئته، ومن يتصفح كتب التاريخ يجد الكثير من الوقائع التي تدل على ذلك, فالحرب النفسية أو حرب الكلمة حقيقة قديمة وهي موجودة منذ أن وجد الصراع البشري و لكنها كمصطلح لم يظهر إلا بعد الحرب العالمية الثانية

وحروب الجيل مصطلح معقد ويحمل اكثر معنى ويندرج تحته انواع كثيرة من الحروب مثل الحروب الالكترونية وما يسمى بالسيادة المعلوماتية والحروب النفسية وغيرها وفي موضعنا هذا سنتطرق لحروب الجيل الرابع بمعناها الواسع وسنوضح كل ما يتم استخدامه من طرق.

وفي هذه الحروب تستخدم وسائل الاعلام والالكترونية ومنظمات المجتمع المدني والمعارضة والعمليات الأستخبارية بجانب النفوذ الأمريكي والهدف إكراه الخصم على قبول إرادة عدوه.. ومن تلخيص ذلك في كلمتين "اكراه" "دولة فاشلة"

فالسلاح الرئيسي في هذا الجيل من الحروب هو القدرات العقلية والقدرات النفسية للوصول الى الدولة الفاشلة.

فالسيادة هي قدرة الدولة على التحكم الكامل والشامل بإقليمها.. بمعنى آخر إذا تمت زعزعة استقرار الدولة عن طريق مثلاً انتقاص سيادتها على جزء من إقليمها بطرق عدة مثلا اشعال شرارة التعصب الديني والمذهبي او بتحويل الدولة إلى مسرح للجريمة سواء التي يتم ربطها بالعرق او المذهب او الدين او السياسة او ايا من الاسباب فتكون الجرائم هذه باختلاف اسبابها قادرة على الإخلال بالأمن، وتقويض السلطة المركزية.

وتحويل الدولة إلى دولة فاشلة لا يحتاج إلى أسلحة فتاكة اذ الأسلحة المستخدمة للوصول إلى الهدف هم مواطني الدولة نفسها المسيطر عليهم بالطرق النفسية كنشر الإشاعات وترسيخها في وجدان مواطني الدول المستهدفة والسيطرة على عواطفهم والعمل على اثارتها بطرق عدة كالإعلام بشتى أنواعه كما نرى اليوم من استخدام قناة الجزيرة القطرية لنشر الفوضى ونزع الاستقرار في الدول المستهدفة..او بالوسائل الالكترونية المتاحة الان لكل شخص..ومن الاسلحة الطابور الخامس والذي يحصل على اعلى التدريبات لاستخدام السلاح الاعلامي والالكتروني وكيفية السيطرة على مشاعر المواطنين للزج بهم في احداث واعمال تخريب من شانها ان توصل للهدف وكذلك تصدير عناصر خارجية ووكلاء عدة اجهزة مخابراتية لاشعال المواقف في الداخل وتدبير عدة حوادث من شأنها ان تظهر للعامة بصورة طبيعية... بالاضافة بالطبع لعمليات الانهاك المتتالية لقواها الامنية ومؤسساتها بحيث تصبح غير قادرة على التماسك والتخطيط والتصرف.. مع التدخل القوى للسياسة الدولية وفرض عقوبات

مما يضعف الاقتصاد والحياة السياسة للبلد وهذا كله يؤدي الى فشل الدولة وسقوط ومؤسساتها فلا تقوى على المواجهة ويترتب عليه أن تكون الدولة مهيأة للتدخل بكل أشكاله ودرجاته .

وحرب الجيل الرابع مرتبطة بالتطور التكنولوجي الذي يعرفه العالم لآن اضافة للتطور الخفي في هذا المجال، فالتحولات التكنولوجية لها تأثير واضح ولا يخفى على أي أحد اضافة للعوامل الحقيقية التي تقف وراء تغير ملامح الحروب مثل الدوافع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.... ولكن الحروب الحالية والقادمة تتأسس على تأثير تطور تكنولوجيا المعلومات واساليب السيطرة والعمليات النفسية والأسلحة المتحكم فيها عن بعد... اضافة لدور المنظمات غير الحكومية والطابور الخامس وظهور فاعلين جدد عابرين للقارات في شكل شركات متعددة الجنسيات وبعض الحركات الدينية والجماعات المتطرفة.. وعصابات المخدرات والاسلحة والتجارة بالبشر وغيرها.. والتي أصبحت تمارس نفوذا متزايدا في مجال العلاقات الدولية!!!!

وهذا النوع من الحروب هو ما ظهر جليا داخل البلدان العربية والإسلامية في إطار ما يعرف بـــمشروع الشرق الأوسط الكبير ...عبر زعزعة الأوضاع وضرب أنظمة الدول من الداخل ومنع قيام كيانات متحدة وإشاعة الفوضى.. والفوضى الخلاقة ...

يقول الصهيوني (مناحيم بيغن) في أحد مؤلفاته : يجب أن نعمل ولنعمل بسرعة فائقة قبل أن يستفيق العرب من سباتهم فيطلعوا على وسائلنا الدعائية فاذا أستفاقوا ووقعت بأيديهم تلك الوسائل وعرفوا دعامتها

وأسسها فعندئذ سوف لا تفيدنا مساعدات أمريكا وتأييد بريطانيا وصداقة ألمانيا عندها سنقف أمام العرب وجهاً لوجه مجردين من أفضل أسلحتنا"

وإذا توصلنا إلى أن جزءاً من الدولة المستهدفة أصبح غير خاضع لسلطتها فإن سيادتها بهذا تصبح غير موجودة وبهذا تكون فاشلة وهذا ما تم استخدامه في العراق بوضوح حيث تم استخدام الاكراه بوجه الناعم ثم بوجه الخشن باسلوب الصدمة والترويع حيث لعبت العقوبات الاقتصادية والإشاعات والدعاية ونشر بذرة التعصب المذهبي دوراً كبيرا في سقوط العراق بدون تكلفة تذكر وقد شارك في ذلك آلات إعلامية لها وزنها في العالم كقناة الجزيرة القطرية وقناة السي ان ان الأمريكية و الهدف من هذه الحرب لم يكن تحطيم مؤسسة العراق العسكرية أو القضاء على قدرة أمة على شن مواجهة عسكرية خارج حدودها وحسب ؛لكن الهدف كان إصابة الدولة المستهدفة بالإنهاك والتآكل لتكون خاضعة دوما لارادة غيرها وهذا حال العراق الأن.. وكذلك حال جنوب اليمن ونشر الفتن الطائفية وترك العنان للقاعدة وتوجيها الى هذه البقعة عن طريق الإعلام الصهيوني والمريكي المتمثل في قناة الجزيرة وقنوات اجنبية حيث تصدر الاوامر بتسليط الضوء على هذه البقعة وتوجيه رسائل إلى عقول الجهاديين بالتوجه إلى هذه البقعة باعتبارها خصبة ومرتع للارهاب مع اعلان عمليات وهمية من شانها رفع همم هذه الجماعات وتوجيها لعمل ضربات.. ومثال اخر إذا استطعنا تخليق الدولة فاشلة فإننا نستطيع أن نتدخل فيها بل يمكننا أن نبسط سيطرتنا عليها حتى لا يختطفها غيرنا مثلا تسخير النظام السوداني لخدمة المأرب الصهيويني أمريكي في المنطقة عن طريق حروب

الجيل الرابع بشتى انواعه مما أدى إلى تقسيم السودان إلى شمال وجنوب. فجنوب السودان انتزعته أمريكا نزعاً من المارد الصيني الذي كان يحلم بمستقبله هناك.

وهذا ما يتم العمل عليه في مصر وسوريا من جانب الصهيوني أمريكية والطابور الخامس والخونة الأن.

مصر بين حروب

الجيل الرابع والخامس والسادس

وفي حالة دول الربيع العربي نجد أن الولايات المتحدة استخدمت الجيل الرابع في حربها بأكثر من محور فهي في حقيقة الأمر كانت تهدف بالفعل لشرق أوسط جديد لا يمكن تحقيقه دون فوضي كما كانت تقول وزيرة خارجيتها السابقة كونداليزا رايس وكان ذلك عقب إدراك الإدارة الأمريكية أنه لا مجال للقضاء علي تنظيم القاعدة وهيمنة التيار الإسلامي الراديكالي إلا من خلال إدخال هذا التيار ومشاركته في الحياة السياسية لدولة أو من خلال تولي إحدي الجماعات التي ظنت الإدارة الأمريكية في عهد أوباما أن الانظمة الحاكمة في منطقة الربيع العربي لن تسمح لهذه الكيانات بأن توجد بشكل مؤثر في الساحة السياسية وبالتالي كان اللجوء للخيار الثاني هو أنسب البدائل المتاحة فاستخدمت جماعة الإخوان المسلمين في مصر لتحقيق أغراضها.

واستخدمت جماعة الإخوان أيضا في سوريا والجماعات المتطرفة لازاحة بشار الاسد مع امداد هذه الجماعات بالعتاد بشتى أنواعه للعمل على هذا الهدف.

وهذا ما تم إنجازه في ليبيا حيث أصبحت ليبيا تحت السيطرة الامريكية كلياً مما يتيح للامركان وضع قواعدهم العسكرية والمخابراتية واستخدام الأراضي الليبية كقاعدة عسكرية في شمال المغرب..

ولتعلم أن منفذ هذه الحرب يختفي وراء الإعلام كالصحافة او القنوات الفضائية أو الانترنت و وسائل الإعلام المختلفة او متستر بغطاء عن طريق منصب سياسي أو ديني الى غير ذلك من الأمور التي تشير الى انها حرب ليست وجها لوجه مباشراً بل هى وجه لوجه من طرق اخرى غير تقليدية..

الحرب الإعلامية والنفسية أخطر أنواع الحروب ، فهي حرب تغيير السلوك من جانب فرد أو جماعة أو مجتمع ضد فرد أو جماعة أو مجتمع آخر، حيث تكون حربا للتأثير في آراء وعواطف وأعصاب الفرد أو مجموعة من الأفراد فهي حرب أفكار تهدف إلى الحصول على عقول الأفراد وإذلال آرائهم, فهي حرب دعاية، وحرب كلمات وإشاعات لتزلزل العقول وتغير السلوك

مصر هزمت حروب الجيل الرابع والرابع المتقدم وحروب الجيل الخامس ولعلنا اقتربنا لحروب الجيل السادس .. حرب التقنيات الحديثة والتحكم عن بعد وحرب الإبهار والخداع والسيطرة والإيحاء فهي حروب الجن كمصطلح يجب إدراكه ومستند إلى خداع علمي، إلا أننا وجب علينا استعراض أجيال الحروب أولاً وآخرها الجيل الخامس من الحروب الذي تشهده مصر بشكل قاطع غير قابل للتأويل، وسوف نلخص تعريفاتها كالتالي :

حرب الجيل الأول GW١ :هي الحرب التقليدية بين دولتين لجيشين نظاميين، بين جيوش نظامية وأرض معارك محددة بين جيشين يمثلون دول في حرب ومواجهة عسكرية مباشرة

حرب الجيل الثاني GW٢:يعرفها البعض بحرب العصابات والتي تمول من قبل دول كالتي دارت في دول أمريكا اللاتينية ودول أخرى وهي شبيهه بالجيل الأول من الحروب التقليدية ولكن تم استخدام النيران والدبابات والطائرات كالذي حدث في الحرب العالمية الأولى

حرب الجيل الثالث GW٣ : يعرفها البعض بالحروب الوقائية أو الاستباقية كالحرب على العراق وأفغانستان مثلاً، وقد طورها الألمان في الحرب العالمية الثانية وسميت حرب المناورات وتميزت بالمرونة والسرعة في الحركة واستخدم فيها عنصر المفاجأة وأيضاً الحرب وراء خطوط العدو والتجهيز للاختراق قبل الدخول في حرب معلنة

حرب الجيل الرابع :GW٤ أطلق اسم حرب الجيل الرابع على الحرب التي يكون الطرفين بها أجهزة جيش نظامي لدولة ما مقابل لا دولة بمفهوم دولة تم إفشالها وتفتيت مؤسساتها الأساسية وإيقاعها أمنيا واقتصاديا وتفكيك وحدة شعبها...الخ. وهي حتى الآن حرب أمريكية بإدارة صهيونية فقط بدأت باستخدام تنظيمات حول العالم بعد أحداث ١١سبتمبر، وهذه التنظيمات مدربة وتملك إمكانيات لوجيستية ومجموعات محترفة وخلايا خفية تنشط لضرب مصالح الدول الأخرى وتحويلها إلى اللادولة وإفشالها إقتصادياً وخدمياً وسياسياً وأمنياً وعسكرياً، وتطورت لتشمل تجنيد هذه التنظيمات والعمل باسمها لإنجاز المطلوب من خلال من يحمل الطابع المتطرف ومرتزقة مدربين. وتطورت إلى GW٤A الجيل الرابع المتقدم باستخدام أجهزة الإعلام التقليدية مثل قناة الجزيرة أو تجنيد الإعلاميين أنفسهم لقيادة الرأي العام والتأثير عليه وغيرها من القنوات وأجهزة

الإعلام الجديدة مثل مواقع التواصل الاجتماعي بهدف تشتيت الرأي العام وتوجيهه والسيطرة عليه والتجسس عليه ولاكتشاف من يمكن تجنيدهم كعملاء من خلال أفكارهم التي يطرحوها على مواقع التواصل وقد تم تجنيد الكثيرين وضمهم لبرامج تدريب وخصوصاً قبل وبعد ٣٠ يونيو ٢٠١٣ في مصر، ومنظمات المجتمع المدني والمعارضة والعمليات الاستخبارية لتشمل جميع الأدوات التي من شأنها زيادة النفوذ الأمريكي في أي بلد لخدمة مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وسياسات البنتاجون.

حرب الجيل الخامس GW٥ وهي تلك الآليات الساعية للجيل الخامس من الحروب ومنبثقة من مراحل الجيل الرابع المتقدم، فهي حسب تعبير أحدهم" الحرب بالإكراه ــ إفشال الدولة ــ زعزعة استقرار الدولة ــ ثم فرض واقع جديد يراعي المصالح الأمريكية"!!!!

ومن أهم خطواتها:

- تحريك منظمات المجتمع المدني الممولة مسبقاً ضد تلك الدولة
- تحريض وسائل الإعلام التقليدية ضد تلك الدولة
- تحريك قوى المعارضة في شبكات التواصل الاجتماعي ضد تلك الدولة
- تحريك قوى المعارضة الممولة مسبقاً داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية ضد تلك الدولة
- استخدام النفوذ الأمريكي العالمي في المنظمات الدولية لإضعاف تلك الدولة ومحاصرتها

- استخدام العلاقات الدولية والأحلاف والنفوذ السياسي الأمريكي في معاداة أي دولة في العالم ومحاصرتها مالياً واقتصادياً وثقافياً وسياسياً.. الخ في محاولة لتركيعها
- استخدام العمليات الاستخباراتية النوعية أو ضرب أهداف محددة بوسائل آمنة كالطائرة بلا طيار والأسلحة المسيطر بها عن بعد للتخلص من التهديدات المحتملة (مصر سيطرت على طائرة قاذفة للصواريخ بالقرب من الحدود مع ليبيا والتشويش عليها وإنزالها)

تقليب أجزاء من المؤسسات ضد بعضها البعض وصولاً لتناطح المؤسسات داخل الدولة الواحدة

إذن حرب الجيل الخامس هي شبيهة بتركيبة حرب الجيل الرابع والرابع المتقدم بل معتمدة على إفرازاتهما من طابور خامس وعملاء أصبحوا أكثر تدريباً وقدرة على الحركة وأكثر تشابكاً فحركتهم في مجملها تكون غير محسوسة كأفراد بحيث لا يمكن إدانتها بشكل واضح بل هناك من يؤيدها لأنها تصرفات وأقوال وأفعال تحمل شعارات جذابة لقطاعات قد تبدو محدودة لكل أيديولوجية (من أجل الإسلام .. من أجل الحرية والمساواة والديمقراطية والشرعية .. الخ) ولكن في مجملها ومجموعاتها في حركتهم قد تبدو ظاهراً وفرادى ضعيفة ولكن نتائجها التراكمية ضخمة وأكثر تطوراً وتأثيراً وتشتيتاً للمجتمع وتساعد على انهياره بسرعة ، وتتميز الحرب من الجيل الخامس بأنها حرب هجينة لمجموعات مختلطة تدمج مجموعات قتالية وغير قتالية، ومجموعات تقليدية وتكتيكية وإرهابية فهي باختصار

نموذج عصري لحرب العصابات حيث تعتمد المواجهات على كيانات صغيرة تم تدريبها كل في حدود أهدافه، ويستخدم فيها من تم تجنيدهم التكنولوجيا المتقدمة وسبل حديثة لحشد الدعم المعنوي والشعبي، ويُقصد بالتكنولوجيا المتقدمة الأسلحة المتطورة والتي استخدمت ضمن تكتيكات حرب العصابات مثل الصواريخ المضادة للدروع والطائرات والعمليات الانتحارية ونصب الكمائن والأعمال الإرهابية ومهاجمة مدنيين أو هجمات انتحارية والتصرف الإجرامي في مجال أرض المعركة من أجل تحقق الأهداف ولاستنزاف وإرهاق الجيش والأمن لإرغامهم على الانسحاب والتسليم هذا بالإضافة لجميع الأشكال التقليدية الأخرى في العناصر الثمانية التي ذكرناها

في الجيل الخامس من الحروب يكون هناك تدريبات للكيانات العصابية على فنون القتال وحرب الشوارع وتكتيكات مثل الحرق والطعن والقنص والسيارات المفخخة والتزييف الإعلامي ونشر الأكاذيب واستخدام المخدرات والمواد المؤثرة على تغيير الطبيعة البشرية، فالفارق ما بينها وبين الجيل الرابع أنها تلغي الحدود تماماً ودخول كيانات عصابية وإرهابية مختلفة المناهج وعديدة التسميات واستهداف مؤسسات الدولة والجيش خاصة، مع الاعتماد بشكل أوسع على الكيانات الصغيرة في داخل كل مؤسسة حكومية أو غير حكومية وصولاً لأصغر الكيانات في محاولة لإيجاد ثورة ديناميكية تحرك نفسها بنفسها من خلال حركة هذه الكيانات ومن خلال شبكة المعلومات كلاعب أساسي وجعلها ميدان لتجنيد المتطوعين ولعلك تجد أساساً من خلال هذا الشرح لما تم الدعوة له بما يسمى ثورة الإنترنت فثورات الربيع العربي تسمية أمريكية وثورة الإنترنت تسمية أيضاً

أمريكية لها إطار جذاب ولكن تحت هذه اليافتات تختفي كيانات تعمل باجتهاد لإنجاز المطلوب منها عن علم أو بدون علم، ومن هذه الشبكة الاجتماعية وشبكات الإعلام المتنوعة يتم تجنيد مزيد من المتطوعين، إلا أنه في مصر تم تحريك ثورة بنفس الاسم على أسعار الانترنت، وبهذا فقد تم إفشال ما كانوا يعتزمون به من تسميه من خلال هذه الحيلة فكان الغرب ينوي تغيير ما يسمى بالربيع العربي الذي أصبح سيء السمعة وكان المقصود تصوير أن الثورة القادمة هي ثورة إنترنت وليس بناءً على تخطيط أجهزة مخابرات وتنظيمات وطابور خامس، أي أنه اختيار اسم يخفي الفاعل الحقيقي والمحرك الحقيقي للتخريب والقتل والتحريض على استهداف الأشخاص والمؤسسات، ثم تبدأ الإشادة بالثورة الجديدة.

والأدهى أن هناك أيضاً اختلاف ما بين الجيل الرابع والجيل الخامس من حيث ظهور التحالفات في الأخير ووضعهم في بوتقة واحدة تحت شعار مكافحة ومواجهة العدو المشترك، فكان هناك محاولات من خلال تحالفات ما بين الاشتراكيين الثوريين وبعض الليبراليين والإخوان والألتراس وإن كانت انحسرت في تحالفات مجموعات متأسلمة في النهاية لفشل مرحلي، وهناك محاولات استعادة نشاطهم حتى لو كان من خلال تحالفات غير معلنة ولكن تحركات منسجمة ضد الجيش بصفة خاصة والداخلية كجزء حيوي في المواجهة وباقي المؤسسات بالتبعية.

هذا بالإضافة إلى البروباجندا والزوابع اللإعلامية الممنهجة بكل الوسائل الإعلامية المطلوبة مما يؤدي إلى فقدان ثقة الأفراد بقوات الجيش والأمن خاصة والمؤسسات عامة، وما عليهم إلا تحريك البروباجندا واختيار

الحدث المناسب الذي سيسوق نفسه بنفسه وسوف يستقطب قطاعات للعمل على نشر هذه البروباجندا دون عناء مثل (موضوع جهاز علاج الإيدز، وموضوع إختفاء مجموعة سفاري في سانت كاترين، ونشر إشاعة مواجهات بين الشرطة والجيش في قسم الأزبكية ومنطقة رمسيس .. الخ) وسيل من المواد الإعلامية لتزيد من المعركة ضراوة دون محاولة الحصول على نتائج موضوعية ولكن يتم إعداد نتائج أخرى لتستقر بالذهن وترتبط باستقرار مفهوم الفشل لقوات الجيش والشرطة والمؤسسات وبشكل تراكمي يتكفل بالجزء الأكبر منه مواقع التواصل الإجتماعي .

بالإضافة إلى ذلك تتميز حرب الجيل الرابع والخامس بتكاليفها القليلة فلا تحتاج معدات وأسلحة ثقيلة باهظة التكاليف بل هي تحتاج إلى تدريب لضرب المؤسسات والمصارف والبنوك وعمليات إرهابية وعمليات قتل وترويع وتفجيرات واستغلال جيد للفراغ الإلكتروني، وتبدو الجرائم وكأنها عفوية وعشوائية تقيد ضد مجهول، ولا يستثنى منها الحوادث التقليدية مثل حوادث السيارات والحرائق لمزيد من الارتباك وغرس الخوف، فمن أهم أهداف GW٥ خلق دوامة من العنف مجانا للجميع وحتى استغلال الإحباط وعدم وضع أي خطط متماسكة للمستقبل .

إذن التشكيلات الإرهابية والقوى غير النظامية هنا تستخدم أي أدوات سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية في مواجهة القوات النظامية والدولة والتزايد في تشكيلات المجموعات وإيجادها وعمل خلايا نائمة وخلايا عابرة للقوميات والحدود مثل الإخوان وكثير من المجموعات المنبثقة منها بالإضافة لمن يميلون للغرب وبهم يهيمون ومجموعات

ستظهر في مصر مثل داعش وآخرون، فالمتابع للأحداث سوف يعرف طبيعة معارك الجيل الخامس وأن الحرب حقيقية وليس كما يصور البعض أنها غير موجودة، وأهم مظاهرها ظهور أفراد وجماعات صغيرة في تنظيمات عنقودية وتنظيمات الذئاب من فردين أو بضعة أفراد يتم تزويدهم بأدوات ومعلومات، وجميعهم يرتبطون بمصالح وتوجيهات خارجية معينة وليس لها دخل بالوطن ومن خلال تدريبهم وتوظيفهم للتقنية يستطيعون توليد قوة مدمرة عادة ما تستهدف أمن وموارد الدول القومية.

فهذه الحرب وصلت لقمة خطورتها ووجب التنبيه أنها ستزداد في تقنياتها في مصر في المرحلة القادمة، فقد لاحظتم إستخدام الجماعات الإرهابية في سيناء لأنواع متطورة من الصواريخ الأمريكية في إسقاط الطائرة ك Hell fire و ١٧٠-Lوالتي يتم توجيهها بالليزر كما أن مصر كانت تخسر في خضم أزمتها ما يزيد عن ال ٣٠٠ مليون دولار يوميا بحسب الخبراء غير حجم الخسائر في الأرواح والإصابات في كل من المواطنين وأفراد الأمن، علاوة على تعرض مؤسسات كثيرة للهجوم والعنف وتراجع بعض المؤشرات الهامة للدولة مثل تصنيف السندات الحكومية المصرية والتعرض لمخاطر ائتمانية عالية جدًا، ناهيك عن كم مهول من الحوادث الممنهجة. وهنا نلاحظ عمليات إلغاء الحدود في نقل السلاح عبر الحدود الليبية والحدود الشرقية والجنوبية لمصر كما يحدث في سوريا واليمن والسودان.

وقد تحتاج مصر للاعتماد على عقيدة الحرب المركبة ضمن سياساتها الدفاعية، فلا نستبعد محاولات للهجوم على مصر بأشكال مختلفة من

الإرهابيين والعصابات والدول، وفي ذات الحرب المركبة تشمل العمل الجاد من استغلال الموارد البشرية والطبيعية والاقتصادية للدفاع عن نفسها والسعي لعمل حروب إعلامية إستباقية وبناء المصائد الإعلامية واستهلاك قواهم في معارك إعلامية سبق اصطيادهم بها والحرص على رفع روح المواطنة والإنتماء وتوعية المواطنين ضد المخاطر الحالية ورفع مستوى الوعي وإدراك معنى الحروب بأجيالها المختلفة والتجهيز على الفور جيش مصر لمراحل حروب الجيل السادس ورفع تقنياته لمواجهة حروب الجن

بين الفوضى الخلاقة والتكنولوجيا

راج مصطلح "الحرب غير المتكافئة" أو غير المتماثلة على الصعيد الدولي في أواخر الثمانينيات وأصبح شائعًا خلال الحرب على العراق والجماعات الإرهابية.

وعلى الرغم من شيوعه وانتشاره هذه الأيام، لازال هذا المصطلح فضفاضًا فى استخدامه كما في تحديده، فهو يتصف بمرونة الحدود وقله مستوى التحديد، الأمر الذي نجد أنفسنا بإزاء الحاجة إلى بحثه وتفحص مقوماته وخصائصه ومدى اختلافه عن غيره من الحروب. فهو يترادف مثلًا مع مصطلحات أخرى؛ لعل في مقدمتها: "الجيل الرابع للحروب". و"النزاع منخفض الشدة"، .... إلخ. كما أن هذا المصطلح يتميز بقدر كبير من الالتباس والتأويل، فهو يعني في الاستعمالات المهنية العسكرية والسياسية أشياء متنوعة بعضها عام للغاية، والبعض الآخر؛ يقصره على نوعية محدودة من الحروب؛ في حين يرى جانب ثالث ما لا يمت بالمصطلح بأية صلة.

وعمومًا فليست هناك دراسة تحيط بإمكانات هذا المصطلح وتحدده، بعد أن كاد أن يكون شيئا، ولا شيء محددًا في الوقت ذاته. إذن؛ فلا جدال في أنه من واجبنا، حينما نشرع في عمل كالذي نحن بصدده الآن، أن نتوقف على الأقل لنسأل أنفسنا عما نقصده بالضبط من هذا المصطلح؟ وأن نطرح التساؤلات التالية:

إلى أين تسير الحروب والصراعات العسكرية، في إطار المستجدات التكنولوجية المتعاظمة، هل يؤدي بها التطور إلى الاختفاء؟ أم إلى صيغة ما مختلفة، شبه مأتمة؟ أم ستسير، عبر التطور، في سياق مرحلة انتقالية معقدة طويلة في اتجاه "الأتمتة الكاملة"؟! وكيف لنا أن نتفهمها ونستعد لمواجهتها ونتحوط من مخاطرها؟

ومن هنا فإن الدراسة الحالية تقدم مساهمة أولية في باب تأمل تأثر الحروب (بأجيالها المتعاقبة) بالتكنولوجيا المتوافرة وتحليل مسألة العلاقة بينها وذلك من خلال منظور مستقبلي، ثم تبحث في سبل مواجهة تداعيات هذه التحولات التكنولوجية في طبيعة الحروب وآلياتها. وفى نفس الوقت تعرض، ناقدة، "الأفكار" المصاحبة لكل التحولات باعتبار أن "التكنولوجيا" و"الأفكار" هما المحددان الأساسيان لحدوث تحولات جيلية في جوهر وماهية الحروب، على نحو أفرز الجيل الرابع منها كنموذج أساسي للحروب. تستند نظرية الفوضى الخلاقة إلى سياسة "إطلاق الصراعات العرقية" وتهييجها سعيًا نحو دفع الدول إلى التناحر والتناقض، وبالتالي عدم الاستقرار

أولا: الحرب غير المتكافئة و"الفوضى الخلاقة": اشتباكات أساسية

فجرت الأحداث الأخيرة التي قامت بها الجماعات الإرهابية في سيناء والعراق واليمن، وسوريا أهمية معاودة فحص مصطلح عسكري أساسي جديد وهو "الحرب غير المتكافئة"، والذي سبق أن طرحه عدد من الخبراء العسكريين منذ أكثر من عقدين من الزمان، وبالتحديد في عام ١٩٨٩.

وترتد جذور هذا المصطلح إلى أواخر السبعينيات عندما أثار "أندرو مارك" في مقالة مهمة العديد من التساؤلات له حول أسباب هزيمة الولايات المتحدة الأمريكية رغم قوتها وعظمتها من دولة صغيرة (مثل فيتنام)، رغم صغر حجمها وتواضع إمكاناتها واعتمادها على أسلوب حرب العصابات. وفى نفس الوقت أو يكاد فقد طرح العديد من العسكريين والإستراتيجيين الأمريكيين (من بينهم وليم س. ليند والكولونيل كيث نيتينجالتساؤلات هامة مشابهه. وقاد ذلك كله إلى تبلور المصطلح الذي يعبر عن تقنيات الحروب الحديثة غير التقليدية وغير المتكافئة. والذي أصبح يسمى تجاوزًا "بحرب الجيل الرابع، خاصة عندما شُبّع بدلالات سياسية أفرزتها أفكار "كونداليزا رايس" وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة في شكل الإستراتيجية المعروفة "بالفوضى الخلاقة" والمنبثقة من جهود العلماء الأمريكيين حول تداعيات حالات الفوضى وإمكانات الإفادة منها في تعظيم الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في التحكم في كل الشئون الداخلية للدول الضعيفة والمارقة مما يساعدها على العمل بكفاءة "كشرطي للعالم".

وزاد من تعاظم هذا الدور استناده لادعاء أمريكي محض يفترض ضرورة تحمل الولايات المتحدة الأمريكية مسئولية مقاومة الإرهاب في العالم ومحاربته ضمن إستراتيجية مخططة. وانطلاقًا من هذا الادعاء سعت أمريكا لتأكيد حرصها على نشر الديمقراطية، لاسيما في منطقة الشرق الأوسط، التي تدّعى أن دولها تفتقر إلى هذه الديمقراطية بشدة باعتبارها تمثل دولًا تخضع لديكتاتوريات قاهرة، الأمر الذي يجعلها بمثابة "مجتمعات

للخوف" على حد تعبير المنظر اليهودي "شارانسكي مقابل "المجتمعات الحرة" تلك التي تمثلها الدول الديمقراطية وعلى رأسها أمريكا كما يدعى.

ويصبح في هذا السياق من الضروري على الولايات المتحدة الأمريكية إتباع كل الوسائل، الشرعية وغير الشرعية، التي تصب في مجرى تنفيذ قناعاتها وسياساتها المزعومة، من فتن طائفية ودينية ومذهبية وعرقية، والتي تستهدف، في التحليل النهائي، إعادة هندسة منطقة الشرق الأوسط وفقًا لمخطط استعماري خبيث وهو مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذي خطط له كاستمرار للمشروع التقسيمي الاستعماري الذي تبنته اتفاقية سايكس – بيكو.

وقد وجدت أمريكا ضالتها لتبرير السعي في تحقيق هذا المشروع ونشر الفوضى الخلاقة في أحداث سقوط برجي التجارة العالمية في نيويورك في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، حيث استخدمته مبررًا لادعاء وجود "عدو مجهول" يهدد أمنها القومي، وبالتالي فإن عليها أن تخوض ضد هذا العدو "حروبًا استباقية وقائية"، قبل أن يشكل مصدر تهديد للمصالح والأمن القومي الأمريكي.

وإذا ما تأملنا المرتكزات التي تدعم نظرية الفوضى الخلاقة نكتشف حجم التقائها مع مواصفات حرب الجيل الرابع وما بعده كما سنوضحها فيما بعد.. فهذه النظرية تستند إلى سياسة "إطلاق الصراعات العرقية" وتهييجها سعيًا نحو دفع الدول إلى التناحر والتناقض، وبالتالي عدم الاستقرار، كما تطلق في نفس الوقت "صراعات العصبيات" بإشعال نار الفتنة والتفرقة الأمر الذي يستبدل الولاء للأحزاب أو العشائر أو القبائل بالانتماءات

الوطنية (ولعل ما حدث في كل من الصومال والعراق وما يجرى الآن في سوريا واليمن وليبيا خير أمثلة على ذلك.

كما أن ضرب "الاستقرار الأمني" هو أحد أساليب الفوضى الخلاقة من خلال نشر أكاذيب لترويع الرأي العام وإثارة فزع الجماهير وقلقها وتهديد الاستقلال الأمني للدول المستهدفة، الأمر الذي يقود في النهاية إلى خلخلة أوضاعها واستقرارها الاقتصادي. ويمهد لكل هذا توجيه الإعلام واستخدامه استخدامًا خبيثًا – من قبل الدولة القوية – لإشعال نيران الفتنة بين أبناء الوطن الواحد المستهدف.

ويلتقي هذا مع ما تستهدفه الحروب غير المتماثلة أو ما يسمى بالجيل الرابع للحروب وما بعده، من تحقيق لنشر الفوضى وإرباك الدولة حتى تصبح دولة فاشلة مفككة. إن تاريخ تطور الحروب يرتبط طرديًا مع تطور التكنولوجيا

ثانيا– التكنولوجيا وعدم التكافؤ العسكري

إن التكنولوجيا هي المحدد الرئيسي لتوازنات القوة في النظام العالمي الجديد، والعامل الحاسم فيها، فهي بما تمتلكه من إمكانات واعدة ومخاطر هائلة تبدو مجاوزة للوظائف التقليدية للآلات وامتدادًا لحواس الإنسان ووظائفه، بل أصبحت التكنولوجيات الحديثة أكثر من ثورة.. وهي تتناسخ وتتكاثر في كل خطوطها وتقاطعاتها، بشكل لوغاريتمي لم يسبق له مثيل.

وبديهي أنه كلما أصبحت الجيوش أكثر تعقيدًا وجد هنالك "عدم تكافؤ" في الاستحداثات والابتكارات التي تخص التشكيلات العسكرية، وتسلسل

هجوم وانتشار القوات وتوزيعها إلى عدة تنظيمات (مثل الفرسان، المشاة، رماة القنابل اليدوية وخلافه)، والتحسينات والتجديدات على الأسلحة (مثل الإتيان بدروع أفضل أو إضافة الركاب إلى سرج الخيل أو صنع رماح وأقواس أطول).

وقد كانت كثير من المعارك في التاريخ متكافئة في طبيعتها على أن الجيشين المتقاتلين لم يكونًا في الواقع متماثلين تمامًا ولكن التشابه بينهما كان في الأسلحة وعدد القوات والرتب والتنظيم وهكذا دواليك. وعليه كان التنافس على التشابه واضحًا جليًا تمامًا. ووفقًا لذلك فإن معظم أعمال التخطيط استندت إلى مبدأ التكافؤ أو "التماثل" فهو المبدأ والمنطلق لمعظم حقب التاريخ. لذا، فإن مدى التكافؤ العسكري قد حدد آنذاك العمليات بين المجتمعات بكافة مستوياتها.

لذا، فإن عمليات صنع القرار العسكري لتطوير الأسلحة لم تكن رهينة فقط لعمليات التخطيط، التكتيكي والإستراتيجي، والتقدير الواعي للاحتياجات، إنما تتأثر "بعوامل داخلية" (كالسياسة والنزاعات الداخلية حول الموازنة وإدمان استخدام القوة كحل للمشكلات السياسية والانجذاب الشديد لابتكار التقنيات الحديثة والسعي وراء امتلاك الأسلحة المدمرة). كما تتحدد في إستراتيجياتها وتكتيكاتها "بعوامل خارجية" مثل قوة الجيش الخصم، وطبيعة الأرض، والطقس، وخلافه، وهى عوامل تتشارك بالتساوي من خلال الأسلحة وعدد الأفراد المشاركين ونوعية مهامهم ومساحة المكان الذي سيوجدون فيه والتشكيلات التي تسمح بأفضل توازن بين الكفاءة الهجومية والمقاومة الدفاعية والرد المرن.

إذن ففي كل الأحوال فإن التقدم المتسارع في "التكنولوجيا" وفي "الأفكار" السياسية والعسكرية يقود إلى عدم التكافؤ العسكري.

ولعلنا نستطيع توضح ذلك بالنسبة للتكنولوجيا حيث أن الأمر الأكثر أهمية هو دورها في صنع التكافؤ من عدمه، فالتكنولوجيات الأساسية الجديدة استطاعت وبجدارة أن تغير وتبدل الثوابت العسكرية المجربة عبر الزمن لتقودنا إلى عالم جديد من أنواع الحروب .. يشكل احتمال وجوده دمارًا يقلص على الفور احتمالات بقاء الجنس البشرى، فحينما تتغير ثوابت العمليات العسكرية بشكل جذري، فإن المصطلحات مثل "العسكرية" و"العمليات" قد تصبح قديمة وبالية وحينها فمن المتوقع دخول عالمنا إلى فترة تحول خطيرة للغاية. فالثوابت "العسكرية" هي بمثابة عوامل عامة تحدد الأوضاع الفاصلة لأي دولة كانت، وهى تعنى أيضًا وجود عدة عوامل وعدة قوانين مادية ويؤدى غيابها إلى حالة من الفوضى.

واللافت للنظر أن مسألة دمج التكنولوجيا في آليات الحروب ليست توجهًا جديدا بل إنها اتجاه ممتد منذ أن ظهرت الحروب على الأرض حتى إنه يمكن القول دون خطأ كبير؛ إن تاريخ تطور الحروب يرتبط طرديًا مع تطور التكنولوجيا.

ففي مراحل التطور الأولى للبشرية كانت الحجارة والحراب هي الأدوات الأساسية في التصارع والعراك القائم باستمرار على التكافؤ والتماثل الذي ينتهي بفوز أو انتصار جيش على الآخر وهذه المرحلة تمثل الحروب التقليدية التي يطلق عليها حروب "الجيل الأول"، والذي اعتمد على حشد القوات البشرية .

وقد استمرت هذه الحروب لفترات طويلة حتى بدايات القرن التاسع عشر وظهور النار واختراع البندقية ثم المدافع وغيرها من أدوات الحرب القائمة على تكنولوجيا بسيطة، ولكن هذه الحروب كانت تقوم على مبدأ التماثل في الأسلحة وعدد القوات، والرتب والتنظيم وفي مساحة محدودة وغيرها من الثوابت العسكرية المتعارف عليها.. وكان النصر دائمًا للجيش صاحب المقدرة الأعلى والأكبر في استخدام هذه المزايا والثوابت وهذا ما يطلق عليه "الجيل الثاني" من الحروب الذي يعتمد على استخدام القوة النارية.

على أنه في أثناء الحرب العالمية الثانية برز "جيل ثالث قائم على فكرة المناورات العسكرية أو ما يطلق عليه الحروب الوقائية والاستباقية أو حروب العصابات والتي طورها "الألمان" في الحرب العالمية الثانية وتميزت بالمرونة والسرعة في الحركة واستخدام عنصر المفاجأة وأيضًا الحرب وراء خطوط العدو.

وفي جميع الأحوال، فإن هناك تماثلا وتكافؤًا نسبيًا بين الجيوش المتحاربة. وعليه كان التنافس على التشابه واضحًا جليًا، وحسب ما جرت عليه العادة استندت معظم أعمال التخطيط على مبدأ التماثل والتكافؤ، فخلال معظم حقب التاريخ بنى "أحدهم" على وجود تماثل ما واتخذه "مبدأ ومنطلق" وفي هذا السياق فإن القوة الغالبة والظاهرة التي يستخدمها الجيش الاستعماري ضد قبيلة (أو مدينة أو قرية) قد تقاوم بأسلوب "حرب العصابات" الذي يعتمد على عنصر السرعة والمفاجأة أو عن طريق الجدران الدفاعية التي تصد الحصار أو بالاستسلام الفوري.

إن مدى "التكافؤ العسكري" قد حدد آنذاك العمليات المتآلفة بين المجتمعات بكل مستوياتها، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الجيوش تصبح أكثر تعقيدًا وبالتالي يزداد عدم التكافؤ بكل ما يتصل بالإستراتيجيات والعمليات العسكرية.

على أننا لا نستطيع، رغم كل ذلك، أن ننكر أنه يوجد تماثل جوهري مبني على الثوابت الحربية التقليدية.. ألا وهو تقاتل قوتين يمتلكان تقنيات متساوية نوعا ما. وتركيز قواتهما، عبر السرعة الفائقة والكفاءة الممكنة، على منطقة محورية في قلب ساحة المعركة. وكذلك أن هناك تداخلا بين تقنيات الأجيال الثلاثة من الحروب ويمكن استخدامها في آن واحد.

ظهر توجه قوى لجعل القوات الأمريكية أكثر خفة ومرونة وسرعة في الاستجابة.. وأكثر اندماجًا وتعددًا في الاتجاهات عن غيرها من القوات المسلحة التقليدية

ثالثا- تبلور "الجيل الرابع" للحروب في ظل عدم التكافؤ المتصاعد

اكتشفت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) عقب الهزيمة في "فيتنام" بأن نموذج حرب الناتو المبنى على القطاعات الضخمة المزودة بالآليات، غير فاعل إلى درجة كبيرة أمام قوات العصابات المدعومة من قبل الأهالي. ولعل التساؤلات التي سبقت الإشارة إليها والتي جاءت من الإستراتيجيين العسكريين حول الفشل العسكري الذي حدث في حرب فيتنام، وكذلك مقالة "أندرو مارك".

كل هذا مهد للبحث عن نموذج آخر مؤسس على عدم توريط الجيوش الأمريكية في اشتباكات عسكرية مباشرة، وبالتالي أهمية الاعتماد على قيمة ومنطقية القوات الخفيفة (Lighter Forces) التي كانت منبوذة في السابق من قبل ألوية الجيوش التي تزحف عبر الأنهار والوديان على سكان القرى، وبالتالي التخلص من "الفشل العسكري" وتقليل المخاطر البشرية والاقتصادية لأي تدخل من قبل الجيوش الكبرى.

وقد أدرك صناع السياسات الأمريكية بأنه في ظل الظروف المناسبة قد تستطيع "العصابات" أن ترجح الكفة أمام "الجيش التقليدي" حتى لو كان الأخير يمتلك مميزات خارقة في الجو أو البحر أو في القدرة النارية. وقد وازن أفضل الخبراء بين مجموعتين من الثوابت .. وأدركوا بأنه في مجال الحرب فلابد من الأخذ في الاعتبار ليس بالتقييم أو الفوارق النوعية فحسب (مثل النواحي المعنوية، ودور السكان المحليين ... إلخ) ولكن باحتمالية وجود صفات عسكرية مختلفة بالكلية عن بعضها البعض قد تؤثر على طرفي معادلة التكافؤ والتماثل.

·وعليه .. ففي خلال العقود الماضية ظهر توجه قوى لجعل القوات الأمريكية أكثر خفة ومرونة وسرعة في الاستجابة.. وأكثر اندماجًا وتعددًا في الاتجاهات عن غيرها من القوات المسلحة التقليدية. وقد وصف هذا التحول أيضًا بأنه انتقال من حرب "الجيل الثالث" إلى حرب "الجيل الرابع" (Insurgency).

والهدف من وراء هذا الجيل .. جعل القوات المسلحة الضخمة والمزودة بالآليات أكثر ملاءمة في مواجهة قوات العصابات المقاتلة (مثل

التي قادها أمثال ماوتسي تونج وكاسترو في كوبا والمتمردين الفلبينيين والمقاتلين الفيتناميين .. والكثير من قوات المقاومة الآسيويين الذين قاتلوا ضد اليابانيين في الحرب العالمية الثانية).

هذا بالإضافة إلى التداعيات الاقتصادية والعسكرية التي تحملتها الولايات المتحدة الأمريكية مما جعلها تصرف فيه الموارد الضخمة للتكيف مع حقائق الحرب غير النظامية .. فإن "عدم التكافؤ يتغير بسرعة" في زماننا المتسم بالإبداع التكنولوجي الكبير... حيث إن الحرب غير المتكافئة في فيتنام .. تختلف كثيرًا عن مثيلاتها التي يواجهها الأمريكان اليوم في العراق وأفغانستان وغرب باكستان وسوريا. فكلما تكيفت القوات العسكرية مع إحدى الحقائق غير المتكافئة واجهتها أخرى جديدة.. فالأوضاع غير المتكافئة التي سوف نواجهها عام ٢٠٢٠ سوف تكون مختلفة تمامًا عن تلك التي نواجهها اليوم. كما أن اليوم مختلف عن مثيله السابق في الستينيات.

والواقع أن الجيل الرابع للحروب كما يعرفه البروفيسور الأمريكي ماكس مايوراينج هو: الحرب بالإكراه من أجل إفشال الدولة وزعزعة استقرارها ثم فرض واقع جديد يراعي المصالح الأمريكية. كما أن هذا الجيل مؤسس على حتمية قيام حرب بين دولة وكيان غير مركزي (كالجماعات المسلحة والإرهابية أو الدولة المارقة .. إلخ) حيث يتم استخدام أسلحة متقدمة عن بعد لزعزعة إيمان العدو بفرض الحرب والنصر، وتغيير الأنماط الاجتماعية الخاصة به، وغيرها من الطرق للتأثير على العدو نفسيًا، وبالتالي تركيع الدولة وتفتيتها ثم تقسيمها أو إلى كيانات

صغيرة متحاربة، وهدم عناصر القوة فيها بواسطة دفع مواطنيها للاحتراب بعضهم مع بعض، ثم يحدث مأزق سياسي وأوضاع استثنائية من الفوضى العارمة. فتأتى الدولة القوية بحكام من المواطنين والموالين لها والممثلين لسياساتها ويضفون عليهم قدرًا من الشرعية، وادعاء بأن الهدف هو نشر الديمقراطية والقضاء على الإرهاب. وتنتهي المسرحية بتفكك تلك الدولة الفاشلة وتتعدد مرات صنع شرعية جديدة، وهي شرعية في كل مرة تتقاطع تمامًا مع المصالح الأمريكية والغربية .. ويتجذر دور العملاء من المواطنين في تلك الدولة أو قل الدويلات أو الكيانات باعتبارهم أهم آليات تنفيذ تلك الفوضى الخلاقة.

إذن فهذا الجيل يعتمد على إحداث تدمير ذاتي داخل الدولة أو الجماعة المستهدفة ويفتتها ويشيع الانقسام بين طوائفها، وبالتالي ينتهي الأمر بتخليق دولة فاشلة يسودها الفوضى والفراغ. ولعل انهيار الاتحاد السوفيتي كان واحدًا من أوضح نتائج هذا الجيل الرابع وإن لم يكن وحده المسئول عن ذلك.

ومما هو جدير بالذكر فإن أساليب (اللاعنف) تدخل مصاحبة للتقدم التكنولوجي المتقدم لتترك بصماتها على الدولة المستهدفة من خلال إعلام رمادي يبرر بل يحتم ضرورة استدعاء وتدخل الأطراف الخارجية بحجة تأسيس دولة ديمقراطية حديثة.

نخلص مما سبق إلى التأكيد على أن الثوابت القادمة الناتجة عن عدم التكافؤ لسوف تقلب الاعتقادات الأساسية والافتراضات والسلوكيات التي قادت ووجهت القوات العسكرية منذ بدايتها. ومثلًا، كان في الحروب

السابقة كلما زادت قدرة الأسلحة .. كبرت بدورها القوة العسكرية التي يمكن تركيزها على ساحة المعركة.

لكن .. تغيرت في العصر الحديث الكثير من الثوابت الخالدة يومًا ما .. أو تقلص شأنها فعلى سبيل المثال: فإن توزيع وانتشار الأسلحة جغرافيًا بواسطة استخدام التقنيات الحديثة .. يؤدي إلى أثر تدميري أكبر .. فقد أصبحت لدى السلاح القدرة على تغطية إقليم كامل.

بينما التركيز على ساحة المعركة يكاد يكون معدومًا. والمثير في الموضوع بأن القدرة التدميرية تكاد تكون شاملة، وغير محدودة بدلًا من انعدامها (كما كان عليها الحال في حرب الجيل الثالث GW٣أو حتى الجيل الرابع GW٤

وبديهى أن ذلك الأمر معارض ومخالف للمعادلة القديمة التي تقضي بالنهي المطلق عن تغطية إقليم متناثر الأطراف... وعوضًا عن ذلك يكون التركيز على بقعة محدودة. فالحاميات العسكرية تبسط السيطرة على الأقاليم من خلال تركز القوات داخل المراكز والتجمعات الإستراتيجية (مثل: القلاع التي تحكم الوديان، والطرق السريعة، وقرى الأسواق التجارية المهمة).

إذن فسوف تقل أو تتغير أهمية ثوابت السلوك العسكري الأخرى في حقبة ما بعد الجيل الرابع (Post - ٤GW era)... فسوف نحتاج مثلًا القوة التدميرية الضخمة في عصر الأسلحة الحديثة التي تعتمد على التقنيات الأساسية الجديدة – سالفة الذكر – إلى دعم لوجيستي ضئيل وعدد

قليل من الأفراد.. بعدما كانتا في السابق تعتمد على إمدادات لوجيستية كبرى ومقاتلين كُثر.

وكما سوف تقل أهمية الاعتبارات الجغرافية والطبوغرافية التقليدية ومعها الميزة التنافسية التي يعطيها التدريب العسكري، وقوة النيران، وحجم القوات المقاتلة. فالطفل قد يضاهى الجيش ضمن تلك المعادلة ... وتصبح بذلك أحدث أنواع الأسلحة غير ذات بال .. إلا كقوة تستخدم للانتقام ضد منفذي الهجمات في حال معرفتهم بالتحديد (أو للانتقام فحسب حين لا يكون من المهم تحديد هويات المهاجمين الحقيقيين).

الحرب البيولوجية وبداية حروب الجيل الرابع

ومن المهم التذكير بأن العوامل التي تكمن وراء تلك الأوضاع الحديثة تتجلى في أن الأسلحة التي يتم تطويرها في الوقت الراهن سوف تعمل على مستوى أجزاء المادة والعمليات البيولوجية .. فهي تخترق وتعمل من الداخل بدلا من الاختراق والقصف بها من الخارج. وكما أنها تجمع بين اعتمادية ومتانة الآليات الميكانيكية ولديها نفس قدرات التأقلم والتدمير التي في الأسلحة البيولوجية ... فعلى سبيل المثال:

يستطيع فيروس الإيبولا (Ebola) المبرمج زرع نفسه في جسد الإنسان واختراق البشرة عند الملامسة .. كما أن الفيروس محصن ضد التقلبات البيئية التي قد تقلل من انتقاله وانتشاره.

كما تمتلك بعض تلك الأسلحة خاصية "التناسخ" و"الثبات الذاتي"، بالإضافة إلى القدرة على إطلاق سلسلة من ردود الفعل الكارثية، بينما تتكيف أخرى مع برامج المفردات وتحولات مسبقة الإعداد ترمي إلى إبطال محاولات التدابير المضادة.

وكما تستطيع "التأقلم" لتلبية أي هدف وغاية، والكثير منها يكاد يكون بدون وزن، ومن السهل تطويرها من التطبيقات السلمية التي تغذي مسيرة الحضارة البشرية.

وفي ظل تلك الأوضاع وغيرها، يزداد عدم تكافؤ الحروب، مما يمثل تحديا مذهلًا أمام القوات العسكرية، فكلما زاد الاستعداد لمجابهة أنواع

جديدة من الأعداد ازدادت حدة انحدار منحنى عدم التكافؤ المدفوع بالابتكارات التكنولوجية المتسارعة .. والناتج عن استخدام القوات المعارضة المرتقبة لمصادر جديدة من القدرة التدميرية.

ومن المفارقة تزامن حدوث التقدم الواعد في العلوم خلال العصر الحديث مع التطورات الخطيرة في الأسلحة التي تصنعها "الدول الصناعية" التي تمتلك أقوى القوات المسلحة. ومع ذلك فإن الأسلحة الجديدة سوف تنتشر وتتسرب على الأرجح إلى العديد من الجهات والكيانات حول العالم.

ومن المرجح أن تستخدم أولا الدول المتقدمة بعض تلك الأسلحة، ولكن الدول التي تقاتلها ستستفيد في نهاية المطاف من عدم التكافؤ.. (انظر ماذا حدث بإرسال الجمرة الخبيثة (Anthrax) بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟. وحينها تكون تلك الأسلحة – بدون شك – الخيار الأكثر فاعلية لديهم، حيث لا يقدرون على مجاراة القوى الصناعية في مجال العتاد، وعدد الجنود، والأسلحة فائقة التطور .... إلخ. وعليه تستطيع الدول "المارقة"، والجماعات الإرهابية والمتمردة والمهووسون مذهبيًا وأيديولوجيا، من قلب وتغيير التوازن القائم أمام القوة العسكرية الوطنية المتفوقة عبر استخدام أصناف الأسلحة الجديدة

مستقبل الجيل الرابع وما بعده من الحروب

ينشأ عدم التكافؤ في "التركيب الطبولوجي" عند استخدام التقنيات الأساسية الجديدة لصنع الأسلحة

أولا- عدم التكافؤ (الطبولوجي) Topological Asymmetry:

يوضح الجدول التالي تأثير التقنيات الأساسية الجديدة على الحروب غير المتكافئة .. فالإطار المتصور هو: التحول من التكافؤ التقليدي إلى عدم التكافؤ "الانتقالي" .. ثم إلى عدم التكافؤ الطبولوجي حيث إن مصطلح (التقليدي Traditional) يشير إلى: قوى العصابات التي واجهت أمريكا في فيتنام. في حين أن (الانتقالي Transitional) يشير إلى: الخصوم المبعثرين والمنتشرين مثل المقاتلين المنتمين إلى مجموعات متفرقة لا تمتلك أيًا من الثوابت الأيديولوجية في الأغلب.. أو الأهداف المحددة التي لدى قوى العصابات التقليدية. وكما لا تعتمد على أثر تدحرج كرة الثلج، أي تجمع كل الموالين ليكونوا قوة مركزية تزداد في الحجم، والقوة العسكرية بما يكفى لاحتلال مدينة من المدن، كما حصل في هافانا (كوبا) أو في سايجون (فيتنام).

وينشأ عدم التكافؤ في "التركيب الطبولوجي" عند استخدام التقنيات الأساسية الجديدة لصنع الأسلحة. واستخدامًا لذلك المصطلح، أي الطبولوجي، والذي يراد منه توضيح "عدم التكافؤ المتطرف" الذي يتجاوز "عدم التكافؤ التدرجي" الذي ظهر خلال حروب القرن الماضي. (فعلى سبيل

المثال: وفى مسرح حرب عدم التكافؤ في التركيب الطبولوجي .. تصبح القدرة التدميرية للأسلحة الأساسية الجديدة "لا محدودة" من الناحية العملية .. بينما يصبح التأثير العسكري (حجم الجيوش، وعدد القنابل والأساطيل .. إلخ) "معدومًا تقريبًا").

ومن الجدير بالذكر أن حروب عدم التكافؤ الطبولوجي لا تنحصر فقط في الجيل الرابع من الحروب، بل إنها تمتد مع التقدم التكنولوجي والمعلوماتي الهائل، فقد ظهر "الجيل الخامس" وهو جيل من الحروب التآمرية يستهدف تشكيل "حكومات ظل" يعهد إليها تولي مسئولية الكيانات الصغيرة التي تتشكل من الدولة الفاشلة والتي تستهدف الدولة القوية إيجادها. وتعمل هذه الحكومات غير الشرعية من خلال تشكيلات عصابية وتنظيمات إرهابية تهدف إلى هدم التعليم في الجامعات وإشاعة الفوضى وارتكاب أفعال إجرامية للتشكيك في قدرة الدولة على السيطرة الأمنية وفبركة الحقائق وترويع المواطنين، وبدهي أن هذا الجيل يرتكز بشكل أساسي على إمكانات التقدم المعلوماتي والاتصالي المذهل والمتسارع.

وهناك كذلك "الجيل السادس من الحروب" والذي "تدار معاركه عن بعد" بشكل شبه تام من خلال استخدام أحدث الأسلحة الذكية عالية الدقة (كأدوات التجسس والحيوانات بكل أنواعها وغيرها من الأساليب التكنولوجية المتميزة.... إلخ) والتي تهدف إلى تحريض المجتمع، عبر التجنيد الكامل لشبكات الإنترنت، بما يحقق فشل الدولة المستهدفة وهدم أركانها.

وأخيرًا وليس بآخر، هناك إرهاصات لظهور "جيل سابع" من الحروب

قائم بشكل شبه تام على إمكانات المعلوماتية في التخفي والتحكم عن بُعد واستهداف الدولة أو الجماعة الخصم بشكل غير مألوف. ويجدر بنا التأكيد على أنه من التعسف الفصل القاطع بين هذه الأجيال جميعًا؛ فهي تتداخل مع بعضها البعض وتمثل منظومة متكاملة لاستبعاد الاشتباك البشري المباشر والاعتماد الكامل على إنجازات العلم والتقدم التكنولوجي والأفكار المصاحبة للتطور في الحروب.

ويوضح الجدول التالي أبعاد "التغيير المستقبلي" الذي يتوقع أن تؤثر به الحروب المختلفة القائمة على عدم التكافؤ (التقليدي والانتقالي والطبولوجي) من حيث تطورها وإستراتيجيات الصد والردع، والبحث والتطوير ومجريات الحرب ذاتها ومسلكها.

الجدول رقم (١)

عدم التكافؤ التقليدي (Traditional Asymmetry)	عدم التكافؤ الانتقالي ((Transitional Asymmetry	عدم التكافؤ الطبولوجي (Topological Asymmetry)
عدم التكافؤ الكمي	عدم التكافؤ المجزئ	عدم التكافؤ المطلق: صفر = œ
العصابات، المجموعات غير المنتظمة	الإرهابيون، المخترقون والإلكترونيون	الأسلحة الخفية وغير البشرية
الأفراد المنظمون	الهواة المحفزون والمجيشون	البواعث الفردية العشوائية
القوات المركزة والمتوسعة في الوقت	الخلايا الصغيرة المندسة	القوات المبعثرة/ المنتشرة، مع الاعتماد القليل على

عينه		الأفراد
الأهداف الأخلاقية والأيديولوجية الساخنة	السخط والانتقام والإحباط	التدمير بدم بارد لغرض التدمير البحت
القضايا والمواضيع الثقافية الحرجة	الثقافة المجزأة والمستقطبة	القضايا والمواضيع الثقافية غير المهمة
الأهداف السياسية الواضحة	الأهداف السياسية الغامضة	لا توجد أفكار منطقية
الدعم الشعبي المحلي	الدعم المحلي والتحالفات	ليس هناك حاجة لوجود الدعم
الاندماج المحلي	الاندماج والتنقل من منزل إلى آخر	الاندماج التام مع عدم وجود صفات فارقة ومميزة
مواقع القتال المبنية على الأرض)أرض المعركة(	النقاط المستهدفة، العبوات الناسفة المرتجلة، المباني	ساحة المعركة مفتوحة وغير محددة
مخابئ السلاح	الإمدادات المتاحة محليا	كميات صغيرة من الإمدادات مخبأة ويصعب اكتشافها
الإستراتيجية التقليدية مثل الموجودة لدى (Mao, Ho)	إستراتيجية التشتت والانتهازية	لا تدعو الحاجة إلى وجود إستراتيجية
أهداف موضوعية، ومحددة	أهداف صغيرة، وأهداف كثيرة	الأنظمة الكبرى والبيئة والاقتصاد والبنية التحتية مستهدفة

مركز السلطة = المقر الرئيسي	مركز السلطة = المراكز/ التجمعات	مركز السلطة = لا يوجد مقر أو مكان محدد
متحرك، وسريع	قابل للشحن عبر القوارب والشاحنات والسيارات	الانتقال الآني
انطلاق رد قاس	انطلاق رد متردد ومشوش	انطلاق رد فوضوي
لا توجد مراكز/ تجمعات، وتوجد روابط كثيرة	مراكز /تجمعات قليلة، وروابط كثيرة	لا توجد مراكز/ تجمعات، وتوجد روابط لا تحصى

ثانيا- مستقبل الحروب غير المتكافئة

إذا كنا قد عرضنا لبعض الإمكانات والقدرات التي تمثلها تقنيات لأجيال مختلفة للحرب وما صاحبها من أفكار وطرق تفكير مصاحبة فلابد أن نشير إلى:

أن ذيوع وانتشار تكنولوجيات أساسية جديدة مثل: "تكنولوجيات الناتو، وعلم الروبوت، والهندسة الجينية، والحواسيب الفائقة، وعلوم المغناطيس، وعلوم البصريات وعلوم الميكانيكا التطبيقية، والتصوير الإشعاعي والرادار التموّجي ... تندرج تحت قدرات عسكرية لم يكن من المتصور الحصول عليها حتى في الفترات الحديثة مثل حرب فيتنام.

إن طبيعة تلك التقنيات الأساسية الجديدة توضح "المعضلة العسكرية" الوشيكة التي تجسدها، فمعظم تلك التقنيات مبنيٌّ على:

التصغير المتناهي حتى مستوى الذرة، التخفي الافتراضي، سلاسل الإمدادات الرفيعة والخفيفة، التكاليف المخفضة بعشرات المرات، القدرات

التدميرية الهائلة، القدرة على استهداف الأنظمة البيئية والبنية التحتية والأنظمة العسكرية والرقمية والاقتصادية والبيولوجية الكبرى، ذلك لأن التقدم يحدث في عدة صناعات، ويؤهل لظهور مجموعات جديدة من الأسلحة، مما سوف يغير كل المفاهيم الحديثة حول عمليات التخطيط والبرتوكولات والإجراءات العسكرية.

على أنه من ناحية أخرى يصعب توقع الطبيعة الصحيحة للمخاطر المستقبلية، حيث إنها عادة ما تعتبر دربًا من دروب الخيال.. على الرغم من أنها تقوم على العلم والهندسة المعاصرة. على سبيل المثال: إثارة أي حالة عقلية – (التشويش) وفقدان الذاكرة، والخضوع الروبوتي، والضحك الذي لا يمكن إيقافه ... ومن الممكن إثارته في مدينة أو جيش أو بين مجموعة من الموظفين الحكوميين من خلال مجموعة من التقنيات النانوية أو الهندسة الحيوية أو العوامل الكيميائية العصبية.

تخيل إطلاق أي عملية بموجب نظام بنية تحتية، فإن عواقب ذلك سوف تتمثل في التآكل والانهيار السريعين للكباري، والأنفاق، والمباني، والأنابيب. وسوف تصبح المياه عبارة عن راسب غير صالح للشرب.. وسوف يكون الهواء مليئًا بالشفرات النانوية التي من شأنها إهلاك الرئتين، وإحداث نزيف شديد. ومن الممكن إثبات أي من هذه الأشياء بشكل معقول.

لا تجد أي من هذه الآثار نتيجة لتصميم الأسلحة العسكرية .. حيث إن "البحث النانوني" الذي تم إجراؤه على التطبيقات الطبية والتجارية أثبت أن التهديدات المحتملة التي لا يمكن السيطرة عليها .. تنشأ عن سوء الاستخدام المتعمد للهندسة الحيوية.

وفيما يلي بضعة أمثلة على ذلك:

- الجنود السوبر" (Super-Soldiers)، الذين يتمتعون بقوة وسرعة غير عاديتين والذين يمكنهم تدمير مدينة قبل تنظيم قوة نارية كافية لقهرهم.
- الفيروسات المصممة" (Designer Viruses) التي تبحث عن مضيفين بشريين بتعمد غير طبيعي، والتي تعمل طبقًا لجدول إصدار زمني أو استجابات جانبية تقليدية بيئية وبيولوجية.
- النانو بوت" بحجم الجزيء (Molecule Sizednanobots) الذي يحدث تشويشًا كبيرًا في السكان.
- الحمض النووي لفيروس الحيوان المستنسخ" (Cloned Animal-Virus DNA) الذي يصدر أوبئة مميتة.
- البلازميدة المقاومة للمضاد الحيوي" (Anitbiotic-Resistant Plasmids) المزروعة في السكان الجرثوميين.

هذه مجرد بعض الطرق التي تتجاوز تلك الأفعال الإرهابية الانتقالية غير المتماثلة مثل: تفجير معمل أحياء من المستوى الرابع، أو إرسال "الجمرة الخبيثة" إلى المكاتب الحكومية.

وإن كانت هناك تكنولوجيات عديدة كتكنولوجيا الروبوتات والأعصاب والحوسبة الفائقة والضوئيات وغيرها ولا نستطيع في هذه المساحة الضيقة التعرض للمتوقع بخصوص تقنياتها فيما يتصل باستخدامها

ثالثا- مناهج التصدي لحروب ما بعد الجيل الرابع

بداية، تتمثل الأخبار الجيدة بالنسبة للمستقبل في أنه، على خلاف السابقين لنا في سباقات التسلح الماضية، لا نحتاج إلى التوافق مع القوة التدميرية لأعدائنا لمقاومة هذه الأسلحة الجديدة.. فإننا نحتاج فقط إلى معرفة كيفية إزالة مفعولها.

إنها تعتبر بلا جدوى بالنسبة للجانب الأقوى من المعادلة غير المتماثلة (أي الدول المتقدمة) التي تمتلك بالفعل قدرات انتقامية وتدميرية .. على الرغم من ذلك .. يوجد إنذار بأننا قد قمنا بتسليح العوامل البكتيرية والفيروسية من معامل الأحياء الخاصة بنا .. ومن المحتمل أن تتكشف بحوث جديدة في التكنولوجيا الأساسية لتطوير هذه الأسلحة. لذا فإن:

- عدم التماثل العسكري المتطرف ــ يعتبر وظيفة من وظائف الأسلحة الجديدة التي توفر أثرًا مضاعفًا على أحد جوانب المعادلة أو على الجانب الآخر. فالقنبلة النووية مثلًا ضاعفت ميزة القوى العظمى النووية التي كانت بالفعل القوى الحربية الأكثر قوة على الكوكب .. إلا أن "عدم التماثل" الحالي يكون في مصلحة الخصوم "الأخف".

إن تعديل المنتجات المشروعة لاستخدامها كأسلحة ليس معقدًا جدًا مثل تلك المعامل الخاصة بالأدوية المزيفة أو الكوكايين، ومماثلة لتلك المعامل الموجودة في أي مكان، حيث إن معمل "الميثامفيتامين" (وهو دواء منتشر) الموجود على طاولة المطبخ أصبح من الممكن اليوم أن يصبح

مصنع سلاح غدًا.

إن التنوع الكامل للتطبيقات المحتملة وعدم اليقين بشأن الشكل الدقيق يتطلب مجهودًا عالميًا لمواجهة هذه التهديدات الناشئة.

من المؤكد بشكل واقعي أنه في خلال عقد واحد أو عقدين سوف يكون "الإرهابيون" و"الدول المارقة" و"الاتحادات الجنائية" والناقمون العشوائيون قادرين على الوصول لمثل هذه الأسلحة.

·سوف تظل القوات المقاتلة تلعب دورًا مهمًا في الصراعات غير المتماثلة طوبولوجيا (وبالتأكيد سوف يتم مقاومة بعض الصراعات في صيغة "الجيل الثالث" للحروب وصيغة "الجيل الرابع" للحروب(.

وينبغي أن تتخذ إجراءات لمواجهة التهديدات العالمية ... وأن توسع الدول من رأس مالها الوطني الفكري ــ مهندسين وعلماء وفلاسفة ومؤرخين وواضعي إستراتيجيات ــ من خلال تحسين النظام التعليمي للدولة.

ويجب أن يتلقى المخططين والضباط العسكريين تدريبًا على التكنولوجيا الجديدة، وكذلك يمكن دمج ألعاب الحرب والمحاكاة والسيناريوهات التي تشتمل على هذا المستوى من الخطر في التخطيط العسكري.

ولا يجوز اعتماد أي تكنولوجيا نانونية بدون مجموعة من المحسات وضمانات التحييد المرفقة بها.

ينبغي مراقبة المعامل النانونية بشكل مشدد كما هو الحال مع المعامل الحيوية التي نرغب في تنظيمها بمستوياتها المختلفة المحددة بناء على "احتمالية التسليح".

هذه بعض "المناهج العامة" لمواجهة هذا الخطر طويل المدى، وسوف يكون من المفيد كذلك تنفيذ مسار تخطيط متوازٍ عن كيفية الحفاظ على الحريات المدنية، في حين الإعداد للهجمات التي تتسبب بطبيعتها في حدوث خوف وجنون الاضطهاد.

تتمثل الحاجة الماسة – على الرغم من ذلك – في خطة من أجل التخطيط في حد ذاته ومنهجيته لتقييم التقدم المستمر متعدد المتغيرات للثروة التكنولوجية التي سوف تنبثق منها أنواع من الأسلحة الجديدة والفعالة من الناحية التدميرية.

نخلص إلى أن يعرض منحنى تطور كل تقنية جديدة من التقنيات المستقبلية المتوقعة لها عقبات ومرتفعات، وتتمثل العقبة الأكثر صعوبة بالنسبة للتكنولوجيا الجديدة في النموذج المبدئي الأول، (فلم ينجح أحد في ابتكار طائرة ذات أجنحة ثابتة حتى عام ١٩٠٣، ومع ذلك وفي غضون عشرات السنوات تم إجراء الرحلة الثانية للأخوين رايت ٥٩ في ١٤ ديسمبر من ذلك العام)، وكان الطيارون المحاربون يبارزون بعضهم البعض في الحرب العالمية الأولى. منذ أن تم ابتكار رقائق السليكون، توقع "قانون مور" بشكل دقيق المقدم الأساسي للكمبيوتر.

ولعلنا نستطيع التوقف عند تكنولوجيا النانو كنموذج ودورها

العسكري على وجه التحديد يعملون بشكل فعلى، وكما يقول "كاكو" عبر تاريخ الإنسانية كله، كان إتقان استخدام الأدوات هو ما حدد مصائرنا .. فعندما أتقن الإنسان صنع القوس والسهم منذ آلاف السنين، صرنا قادرين على إطلاق المقذوفات لمسافات أبعد كثيرًا مما تستطيع أيدينا، فزاد ذلك من كفاءة صيدنا... والآن نحن على وشك إتقان استخدام نمط مختلف تمامًا من الأدوات وهو أقوى بكثير من أي شيء شهدناه من قبل. هذه المرة، سوف نصبح قادرين على التحكم في الذرات نفسها التي خلق منها كل شيء وخلال هذا القرن، ربما نمتلك أهم أداة تخيلها بشر على مر العصور؛ تكنولوجيا النانو Nanotechnology التي ستتيح لنا التحكم في كل ذرة على نحو منفرد.

وتعتمد التكنولوجيا النانوية على الاستنساخ الذاتي، ومن ثم يمكن برمجة تفاعلات السلسلة لتستنسخ بدون حسيب أو رقيب، تشبه إلى حد كبير فيروس أو دودة الكمبيوتر، ومثل هذا الاستنساخ يستطيع تغيير البيئات أو نشر المرض أو تعطيل الآلات الموجودة على الأنظمة الضخمة. وهناك كذلك النانو تيوب الكربونية التي تعتمد في غذائها على الكربون (مادة عضوية) وتنمو طبقًا لذلك.

ولكن قد يكون أي تطبيق طبي مبرمج مسبقًا من الممكن أن ينقلب لأغراض تدميرية. كما يمكن إطلاق أعداد مهولة من الجسيمات النانوية في الهجوم الإرهابي أو المعركة.

ومن ناحية أخرى، تعتبر التكنولوجيا النانوية مشارك رئيسي في تصنيع دروع الجسم خفيفة الوزن وقمرات القيادة المعززة والعبوات

والبطاريات الأخف وزنًا والأكثر طاقة، وجميعها تمنح مزايا غير متوقعة بخصوص الإرهابيين والحماية، مثل سائقي السيارات المفخخة.

وأيضًا قد يمكن إطلاق جسيمات نانوية متآكلة أو سامة (ذاتية الاستنساخ) على أسطول من السفن أو الطائرات أو المدرعات أو المركبات أو غيرها. لا يكمن الهدف في الحاجة المعدنية، حيث أن المطاط أو البترول أو الأنسجة الحية المدمرة سوف تتسبب في حدوث دمار معادل.

وبشكل عام فإن الواقع يشير إلى النجاح التكنولوجي النانوي قد بدأ يؤتي ثماره في إجراء تجارب باستخدام الحاسوب القائم على الكم، وتم إجراء هندسة حيوية للفئران باستخدام الأنظمة العضلية الضخمة وتم استنساخ الخراف، علاوة على استمرار التقدم في مجال الروبوتات. أوضحت آلات الموجات التي تتحكم في الحشود والبرنامج البحثي عالي التردد القدرة على المعالجة واستهداف أسلحة موجهة مع التأثير الذي يغير البيئة والآثار المحتملة المضادة للجاذبية الناتجة عن المعالجة الأيونية في الطيران والتي قد تزيل أحد القيود القديمة (الجاذبية) من أداء الطائرات العسكرية.

بشكل موجز، من المحتمل أن يحدث أي من أو جميع النماذج المبدئية التجريبية وفى بعض الحالات المعدات العاملة الموجودة من أجل جميع التكنولوجيات المذكورة من قبل، وكذلك من أجل التقدم السريع. وفى حين أن معظمها سوف يواجه بلا شك "صعوبات غير متوقعة" إلا أن العديد منها سوف يحقق حالات تقدم لم تكن متوقعة. كما يعتبر نفس الأمر صحيحًا بالنسبة للجهود المبذولة لتحويل هذه الأعاجيب العلمية إلى أسلحة دمار

شامل، وهذا يعطينا سببًا إضافيًا للبدء في عملية تخطيط إستراتيجي ومستقبلي يعتمد على رؤية شاملة في أسرع وقت ممكن على المستوى البشري.

حروب الجيل الرابع ونظرية المؤامرة

كثيرون من القادة والمفكرين والسياسيين العرب والمسلمين والأجانب ناقشوا نظرية المؤامرة التي تعرض لها الوطن العربي منذ مطلع القرن العشرين وما زال يتعرض . وكثيرون أيضا رفضوا نظرية المؤامرة وأكدوا أن ما يتعرض له الوطن العربي إنما هو صنيع ونتاج العرب أنفسهم أنظمة وشعوب بعد أن حصلت هذه الأنظمة العربية على حريتها واستقلالها من الاستعمار . وهناك تيار ثالث من المفكرين اتجه إلى الأخذ بحل وسط يرتكز على تضافر جهود الدول العظمى مع القادة العرب للوصول بالشعوب العربية إلى ما وصلت إليه باعتبار أن هذه الأنظمة هي نتاج الاحتلال والاستعمار الذي قسم العالم العربي إلى دويلات وممالك وجمهوريات واخترعوا لها التسميات من إمارات وملكيات وجمهوريات بعضها ثوري وبعضها رجعي وبعضها ليس لون أو رائحة . ولكن كل الأنظمة العربية تصف نفسها دائما بأنها ديمقراطية .

ولكي لا نجانب الحق ونستمر في جلد ما تبقى من الذات فلا بد لنا أن نتطرق هنا إلى بعض الوثائق السرية التي وضعتها الدول الغربية والاتفاقات التي توصلت إليها في مطلع القرن العشرين ونتدرج في استعراض بعض مراحل التاريخ العربي الحديث حتى نصل إلى المرحلة الراهنة التي صنفها سياسيو الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة بأنها مرحلة الربيع العربي والفوضى الخلاقة والشرق الأوسط الجديد . ولقد وسمها أقطاب الإستراتيجية العظمى شرقا وغربا وعلى رأسهم الولايات

المتحدة بأنها مرحلة حروب الجيل الرابع والتي ابتدأت فعليا في تونس والسودان وليبيا واليمن ولكن الدول التي انصب عليها الاهتمام وتم التركيز عليها من أجل تحطيم جيوشها وأجهزتها الأمنية وتدمير أنظمة الحكم فيها في وثيقة (الطوق النظيف) التي تم التوصل إليها بين الولايات المتحدة وإسرائيل وكان نائب الرئيس الأمريكي السابق ديك شيني ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو من أجل تحطيم وتدمير الجيوش العربية في سوريا والعراق ومصر وهي الجيوش التي شاركت في كل الحروب العربية الإسرائيلية بدءا من حرب ١٩٤٨ ولا أحد يعلم حتى هذه اللحظة ما يخبىء القدر للجيش العربي الأردني وهو رابع الجيوش العربية الذي شارك في كل الحروب مع إسرائيل .

والسؤال المطروح هنا بعد اجتماع وزراء الخارجية العشرة العرب مع وزير الخارجية الأمريكي بالإضافة إلى تركيا في جدة وبعد أن أعلنت الولايات المتحدة بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٣ أنها في حالة حرب مع تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وعينت الجنرال الأمريكي المتقاعد جون ألن الذي عمل مستشارا أمنيا لوزير الخارجية الأمريكية جون كيري منذ بدء الهجوم الإسرائيلي على غزة بتاريخ ٢٠١٤/٧/٨ . والذي شغل منصب نائب قائد القيادة الموحدة في العراق عام ٢٠٠٨ حيث نجح في نسج علاقات مع شيوخ العشائر السنية والتي ساعدته في تشكيل الصحوات التي قاتلت تنظيم القاعدة في المناطق السنية . كما تم اختياره لقيادة القيادة المركزية للعمليات العسكرية في أفغانستان وأشرف على انسحاب ٣٣ ألف

جندي أمريكي من أفغانستان ثم تولى قيادة قوة التحالف الدولي في أفغانستان (إيساف) .

وتشير التقارير الصحفية أن فرنسا قد وجهت الدعوة إلى حوالي ٢٠ بلدا من أجل عقد مؤتمر باريس بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٥ حول الأمن في العراق من أجل تشكيل قوة تحالف جديدة لضرب تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) يتم من خلاله وضع الخطوط العريضة حول المهام والواجبات لكل دولة وتحديد من يوجه الضربات العسكرية وبأي الوسائل والسبل وأين ومتى ومن يسلح من ومصادر التمويل وما هي المطارات العسكرية التي سيتم استخدامها من قبل طائرات الدول المشاركة في التحالف الجديد بالإضافة إلى حاملات الطائرات الأمريكية وفي مقدمتها حاملة الطائرات جورج بوش .

ولا نعرف حتى هذه اللحظة مدى استعداد الأردن للمشاركة في هذا التحالف وما هو الدور المتوقع له أن يلعبه سياسيا وعسكريا .

علما بأنه إذا أعيد تأهيل وتسليح وتدريب الجيش العراقي وتعزيز سلاح الجو العراقي بالإضافة إلى جيش البشمركة فإن العراق سيكون فعلا قادرا على مجابهة كل التنظيمات المسلحة وفرض الأمن والاستقرار إذا سبقه تآلف وتوافق سياسي عادل بين السنة والشيعة والأكراد .

لا شك بأن هناك وثائق واتفاقات سرية غاية في الأهمية أثرت في مسيرة العالم العربي طوال القرن الماضي وساهمت في نحت صفحاته عبر أحداث وحروب استنفذت الثروات العربية والإنسان العربي .

وإن من حق وواجب كل إنسان عربي أن يطلع على هذه الوثائق كما أن من واجب كل الإستراتيجيين والمفكرين والمؤرخين العرب العمل على البحث عن هذه الوثائق والعمل على كشفها ووضعها بين يدي الإنسان العربي وأصحاب القرار حتى تتضح صورة الماضي ونتوصل إلى ربطها بالحاضر المر الذي تمر به الشعوب العربية قاطبة .

وبعد أن يتم سبر أغوار وأهداف هذه الوثائق لا بد وأن يصار إلى البحث عن مفهوم ومضمون حروب الجيل الرابع التي فرضتها علينا الإستراتيجية العظمى للولايات المتحدة وصناعها . وإنني أرفق في هذا الجزء الرابع معلومات مفصلة حول أخطر هذه المخططات واهم هذه الوثائق وهي المؤتمر الصهيوني الأول ووثيقة كامبل بنرمان ووثيقة برنارد لويس راجيا العمل على قراءة هذه الوثائق لأنها من أخطر الوثائق التي تؤكد بما لايقبل الشك تآمر الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية على الدول العربية .

المؤتمر الصهيوني الأول

لقد تم عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧ بمشاركة كافة ممثلي الجاليات اليهودية في العالم من أجل إنشاء وطن قومي لليهود بزعامة ثيودور هيرتزل وتم اتخاذ القرارات التالية

*إن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين بالوسائل التالية . تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين . تنظيم اليهود وربطهم بالحركة الصهيونية واتخاذ السبل والتدابير للحصول على

تأييد دول العالم للهدف الصهيوني وإعطائه شرعية دولية. (ولقد حاول ثيودور هيرتزل في بداية الأمر إقناع السلطان عبد الحميد من أجل السماح بتوطين اليهود في فلسطين التي كانت خاضعة لاستعمار الإمبراطورية العثمانية ولكن المفاوضات باءت بالفشل) .

تشكيل المنظمة الصهيونية العالمية بقيادة ثيودور هيرتزل

*تشكيل الجهاز التنفيذي " الوكالة اليهودية " لتنفيذ قرارات المؤتمر ومهمتها جمع الأموال في صندوق قومي لشراء الأراضي وإرسال المهاجرين لإقامة المستعمرات لليهود في فلسطين

المخطط الأول وثيقة كامبل بنرمان

في عام ١٩٠٥ دعا حزب المحافظين البريطاني كلا من فرنسا وهولندا وبلجيكا واسبانيا وإيطاليا عام ١٩٠٥ إلى عقد مؤتمر سري بحضور ديفد ولفسون رئيس المنظمة الصهيونية العالمية بعد وفاة ثيودور هيرتزل استمرت مناقشاته لمدة عامين وتم التوصل في نهاية المؤتمر إلى وثيقة سرية عرفت بوثيقة كامبل نسبة الى رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت هنري كامبل بنرمان.

ولقد توصل المجتمعون الى نتيجة مفادها " إن البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للإستعمار لأنه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والإفريقية وملتقى طرق العالم وأيضا هو مهد الأديان والحضارات . والإشكالية في هذا الشريان أنه يعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوفر

له وحدة التاريخ والدين واللسان "

وإن أبرز ما جاء في توصيات هذا المؤتمر ما يلي:

١- الإبقاء على شعوب هذه المنطقة مفككة جاهلة ومتأخرة ، وعلى هذا الأساس فلقد المشاركون في المؤتمر بتقسيم دول العالم إلى ثلاث فئات

الفئة الأولى : دول الحضارة الغربية المسيحية (دول أوروبا وأمريكا الشمالية وأوستراليا) والواجب تجاه هذه الدول هو دعمها ماديا وتقنيا لتصل إلى أعلى مستوى من التقدم والإزدهار

الفئة الثانية : دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية ولكن لا يوجد تصادم حضاري معها ولا تشكل تهديدا عليها (كدول أمريكا الجنوبية واليابان وكوريا وغيرها) والواجب تجاه هذه الدول هو إحتواؤها وإمكانية تقديم اليها بالقدر الذي لا يشكل تهديدا علينا وعلى تفوقنا .

الفئة الثالثة : دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية ويوجد تصادم حضاري معها وتشكل تهديدا لتفوقنا لا(وهي بالتحديد الدول العربية بشكل خاص والإسلامية بشكل عام) والواجب تجاه هذه الدول هو حرمانها من الدعم ومن اكتساب العلوم والمعارف التقنية وعدم دعمها في هذا المجال ومحاربة أي إتجاه من هذه الدول لإمتلاك العلوم التقنية .

٢- محاربة أي توجه وحدوي فيها ، ولتحقيق هذا الهدف دعا المؤتمر إلى إقامة دولة في فلسطين تكون بمثابة حاجز بشري قوي وغريب ومعادي يفصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن الجزء الأسيوي والذي يحول دون تحقيق وحدة هذه الشعوب ألا وهي دولة

إسرائيل واعتبار قناة السويس قوة صديقة للتدخل الأجنبي وأداة معادية لسكان المنطقة.

لقد تم عرض الكثير من البحوث والدراسات ولكن الكثير منها لم يتم الكشف عنه . ولعل عامل اكتشاف النفط وظهور منافس قوي فوق الساحة الدولية ألا وهو الولايات المتحدة قد سرع في تنفيذ مقررات هذا المؤتمر من أجل السيطرة على هذه الثروة واحتلال العالم العربي وتقسيمه فنجم عن هذا المخطط (مخطط كامبل) اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ ووعد بلفور عام ١٩١٧ ومؤتمر فرساي عام ١٩١٩ ومؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ ومؤتمر سيفر عام ١٩٢٠ ومؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٣ وتم تتويجه بقرار الأمم المتحدة الظالم رقم ١٨١ بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وإلغاء السيادة العربية على القدس وتبعه بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٥ وثيقة إعلان دولة إسرائيل وبتاريخ ١٩٤٩/٥/١١ تبوأت إسرائيل مقعدها في الأمم المتحدة بصفتها العضو ٥٩ في المنظمة الدولية.

٣- المخطط الثاني " وثيقة برنار لويس "

إن تغطية حياة لويس وسيرته الذاتية و ومؤلفاته وأفكاره وتأثيره على صناع القرار وبالذات في الولايات المتحدة تستلزم حيزا أكبر بكثير من مجرد مقال بل تستلزم أكثر من بحث وأكثر من مؤلف ونظراً لأن اهتمامنا ببرنارد لويس ينطلق من رغبتنا في تعريف القارىء العربي بفكره المتعلق بتفتيت العالم الإسلامي والعالم العربي فإننا سنستعرض في عجالة بعض المراحل والعلامات المفصلية في حياته حتى نصل الى موضوع مقالتنا

لقد ولد برنارد لويس في لندن عام ١٩١٦ من أسرة يهودية من الطبقة الوسطى وفي عام ١٩٣٦ تخرج من كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن بعد أن استهوته اللغة العبرية والآرامية والعربية اهتم بدراسة اللغات اللاتينية واليونانية والفارسية والتركية ولكنه تخرج من قسم التاريخ متخصصا في الشرق الأدنى والأوسط وفي عام ١٩٣٩ حصل على شهادة الدكتوراه متخصصا في تاريخ الإسلام.

وأثناء الحرب العالمية الثانية خدم لويس في الجيش البريطاني في سلاح الدروع وفي الاستخبارات البريطانية وتمت إعارته الى وزارة الخارجية البريطانية وفي عام ١٩٤٩

عاد الى مهنة التدريس في جامعة لندن وعين أستاذا في قسم التاريخ وفي بداية السبعينات تمت دعوته كأستاذ زائر لجامعة كولومبيا . وفي عام ١٩٧٤ انتقل الى الولايات المتحدة وعمل في جامعة برنستون وفي عام ١٩٨٢ حصل على الجنسية الأمريكية وفي عام ١٩٨٦ انتقل للعمل في جامعة كورنيل حتى عام ١٩٩٠ ومن ثم عاد الى جامعة برنستون أستاذا غير متفرغ ولقد تمكن خلال السنوات الماضية من تأليف أعداد كبيرة من الكتب والمؤلفات وقدم المئات من البحوث والدراسات وإن استعراضنا لهذه الكتب يعطي القارىء العربي أهمية الفكر السياسي والعقائدي لهذا المفكر وكتبه هي :-

الشرق الأوسط والغرب . العرق واللون في الإسلام . مقدمة لعلم اللاهوت الإسلامي والقانوني . سامية ومناهضة للسامية . العرق والرق في الشرق . الإسلام والغرب . اللغة السياسية للإسلام . مستقبل الشرق

الأوسط . الثقافات في الصراع . تاريخ نتذكره نستعيده نخترعه . عالم الإسلام . تشكيل الدولة الحديثة . الإسلام في التاريخ . فسيسفاء في الشرق الأوسط . ظهور تركيا الحديثة . العرب في التاريخ . المسلمون في أوروبا

الحوار الديني في العصور الوسطى . الشرق الأوسط . الهويات المتعددة في الشرق الأوسط . اكتشاف اليهودية للإسلام . أرض السحرة . القتلة . الحوار الديني من النبي محمد الى الإستيلاء على القسطنطينية . ولي العهد ملوكي . الإسلام في التاريخ الأفكار والرجال والأحداث في الشرق الأوسط . ما هو الخطأ : الصدام بين الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط . أزمة الإسلام: الحرب المقدسة وغير المقدسة . اكتشاف مسلم في أوروبا . من بابل الى دراغومانز . اليهود من الإسلام . الكلمات والأفكار السياسية في الإسلام . الإسلام الدين والناس . الإيمان والسلطة .

ولعل أبرز مراحل حياته هي مرحلة ارتباطه بالمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الذين نشأت حركتهم في منتصف الثمانينات والتي ضمت مجموعة من المثقفين ذات الحضور الأكاديمي والسياسي المميز من بين أعضاء الحزب الديمقراطي ولكنهم انسلخوا عن حزبهم احتجاجا على تقاعس الحزب في مجال السياسات الدفاعية والخارجية ويبدو أن تيار المحافظين الجدد في عهد الرئيس جورج بوش قد ضم أشخاصا متنفذين داخل الإدارة الأمريكية أمثال ديك شيني ولويس ليبي وبول ولفويتز وكوندوليزا رايس وريتشارد بيرلي ودوغلاس فيث بالإضافة الى الآلاف من المتنفذين في مجالات الإعلام ومن الكتاب ورؤساء التحرير للصحف والمجلات ومحطات التلفزيون ورؤساء مجالس البنوك

ولقد تمكن تيار المحافظين الجدد من اختطاف السياسة الخارجية في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا تحت ستار مكافحة الإرهاب ظاهريا لا سيما بعد وقوع تفجيرات أيلول في نيويورك ووضعوا مخطط إعادة تشكيل إقليم الشرق الأوسط بشكل يكون دائرا في فلك السياسة الأمريكية ومتقبلا ومطبعا لوجود إسرائيل

ولا شك بأن تعاون بيرنارد لويس مع المحافظين الجدد قد أظهره بمظهر العراب للمصالح الصهيونية وتهجمه على كل محاولة من محاولات السلام بل وتهجمه على القيادة الإسرائيلية لإتخاذها قرار الإنسحاب من لبنان وهو أحد الذين صاغوا استراتيجية المحافظين الجدد في عدائهم الشديد للإسلام والمسلمين وقد اتضحت هذه السياسة في تصريحه المشهور عام ٢٠٠٥ حيث قال" إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون لا يمكن تحضيرهم، ولذلك فإن الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم وتدمير ثقافتهم الدينية ، إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية.

ولقد ظل بيرنارد لويس طوال سنوات رجل الشؤون العامة ومستشاراً لإدارتي كل من جوج بوش الأب والإبن

وبتاريخ ٢٠٠٦/٥/١ ألقى ديك شيني نائب الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت خطابا يكرم فيه بيرنارد لويس ويذكر "أن بيرنارد لويس قد جاء الى واشنطن ليكون مستشاراً لوزير الدفاع لشؤون الشرق الأوسط" وهو اليوم وقد تجاوز التسعين من عمره استاذ متقاعد في جامعة برنستون

وإن ما يهمنا الآن هو إستعراض موجز الى مشروع برنارد لويس الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية.

في عام ١٩٨٠ إبان الحرب العراقية الإيرانية صرح مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي زبغنيو بريجنسكي بقوله " إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الحرب الخليجية الأولى التي حدثت بين العراق وإيران تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود اتفاقية سايكس بيكو

وعقب إطلاق هذا التصريح وبتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية بدأ بيرنارد لويس بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعا وكلاً على حدة ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان والباكستان والسعودية ودول الخليج ودول المغرب العربي وتفتيت كل منها الى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية وقد أرفق بمشروعه المفصل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه تشمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحة للتفتيت بوحي من مضمون تصريح بريجنسكي الخاص بتسعير حرب خليجية ثانية حيث وافق الكونغرس الأمريكي في جلسة على مشروع الدكتور " بيرنارد لويس " وبذلك تم تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات مقبلة وفيما يلي تفاصيل المشروع

الصهيو أمريكي لتفتيت العالم الإسلامي والعربي لبيرنارد لويس

مصر:

يتم تقسيمها الى أربع دويلات:

- سيناء وتظل تحت النفوذ اليهودي (ليتحقق حلم اليهود)
- دولة قبطية تمتد من جنوب بني سويف حتى جنوب المنيا
- دولة النوبة تتكامل مع الأراضي الشمالية السودانية وعاصمتها أسوان
- مصر الإسلامية عاصمتها القاهرة وتشمل الجزء المتبقي من مصر

السودان:

تقسم الى أربع ولايات

- دويلة النوبة المتكاملة مع دويلة النوبة في الأراضي المصرية والتي عاصمتها أسوان
- دويلة الشمال السوداني الإسلامي وعاصمتها الخرطوم
- دويلة الجنوب السوداني المسيحي والتي تم إعلان استقلالها نتيجة الإستفتاء
- دارفور والمؤامرات لا زالت مستمرة لفصلها عن السودان بعد الجنوب لأنها غنية باليورانيوم والذهب والنفط

المغرب العربي:

تفكيك ليبيا والجزائر والمغرب وتونس بهدف إقامة

- دولة الأمازيغ على امتداد دويلة النوبة بمصر والسودان
- دويلة البوليساريو
- الباقي تقسيم دول المغرب والجزائر وتونس وليبيا الى أقسام متناحرة بعضها شمالي جنوبي وبعضها شرقي وغربي كما يحدث في ليبيا الآن

شبه الجزيرة العربية:

إلغاء السعودية والكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات العربية من الخارطة ومحو وجودها الدستوري بحيث تتضمن شبه الجزيرة العربية ثلاث دول فقط

- دولة الإحساء الشيعية وتضم الكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين والجزء الشرقي للمملكة السعودية
- دولة نجد السنية
- دولة الحجاز السنية

سوريا:

يتم تقسيمها الى أقاليم متمايزة عرقيا أو دينياً أو مذهبياً الى أربع دويلات

- ١: دولة علوية شيعية (على امتداد الساحل)

- دولة سنية حول حلب
- دولة سنية حول دمشق
- دولة الدروز في الجولان ولبنان (الأراضي الجنوبية السورية وشرق الأردن والأراضي اللبنانية)

لبنان:

تتضمن أفكاره تقسيم لبنان الى ثمانية كانتونات عرقية ومذهبية ودينية

- دويلة سنية في الشمال وعاصمتها طرابلس
- دويلة مارونية شمالا وعاصمتها جونيه
- دويلة سهل البقاع العلوية عاصمتها بعلبك خاضعة للنفوذ السوري (شرق لبنان)
- بيروت الدولية (المدولة)
- كانتون فلسطيني حول صيدا وحتى نهر الليطاني
- كانتون كتائبي في الجنوب والتي تشمل مسيحيين ونصف مليون من الشيعة
- دويلة درزية (في أجزاء من الأراضي اللبنانية والسورية والفلسطينية المحتلة)
- كانتون مسيحي تحت النفوذ الإسرائيلي

الأردن:

تصفية الأردن ونقل السلطة للفلسطينيين

فلسطين:

ابتلاعها بالكامل وهدم مقوماتها وتشريد شعبها

اليمن:

إزالة الكيان الدستوري الحالي للدولة اليمنية بشطريها واعتبار مجمل أراضيها جزءاً من دولة الحجاز

إيران وباكستان وأفغانستان:-

يتم تقسيمها الى عشرة كانتونات عرقية ضعيفة

- كردستان
- أذربيجان
- تركستان
- عربستان
- إيرانستان (ما بقي من إيران بعد التقسيم)
- بوخونستان
- بلوشستان
- أفغانستان (ما بقي منها بعد التقسيم)

- باكستان (ما بقي منها بعد التقسيم)
- كشمير

تركيا:

انتزاع جزء منها وضمه للدولة الكردية المزمع إقامتها في العراق

هذا ملخص لمشروع بيرنارد لويس الذي تم عرضه على القيادة الأمريكية

وسوف نعرض فى هذا البحث حروب الجيل الرابع بدءا بالربيع العربي ووصولا إلى قيام تنظيم الدولة الإسلامية في العراق .

هدم الدول من الداخل بأيادي ابنائها

عندما نرفض أن نفكر يقودنا الغضب و يسيطر علينا الجهل و نسير بخطي مسرعة تجاه التدمير الذهني أولا قبل التدمير المادي الذي يصدر عن سلوك انفعالي متطرف. يصر صاحبه علي تردبد ما تم تلقينه له بصورة مباشرة متكررة من أجل أن يطبع هذا في الذاكرة الذهنية و يصدقها المواطن و يقتنع بأن كل سلوك يصدر عنه هو حقيقة تقودة الي الحق الذي أملي عليه و ليس له أصل في الواقع علي الأرض .

كما يعرف الكثيرون أن حروب الجيل الرابع هي في الأساس نظرية بسيطة جدا تعتمد علي الاقلال من التدخلات العسكرية و انتهاج سياسة جديدة هي هدم الدول من الداخل بأيادي ابنائها .

أهداف الجيل الرابع :

الهدف من هذه الحرب ليس تحطيم مؤسسة عسكرية، ولا القضاء على قدرة دولة بل الهدف هو الإنهاك والتآكل ببطء، لكن بثبات يرغمك العدو على تنفيذ إرادته.

- الهدف هو التحكم فى العدو الذي يتم تحديده من قبل الطرف المهاجم العامل المشترك هنا هو زعزعة الاستقرار وتنفيذ هذا المخطط بكل أعضاء المجتمع رجال ونساء و شباب من الجنسين و حتي الأطفال
- زعزعة الاستقرار فى الغالب تكون بوسائل تم استحداثها حتي لاتثير الشك إلى حد ما وهي في الغالب ينفذها مواطنون من الدولة العدو هدفها إيجاد دولة فاشلة .

من المشاهد الرئيسية لهذا كثرة الاضطرابات الفئوية بهدف و بدون هدف و الاحتجاجات الطلابية رفع حالة السخط بين الناس ضد النظام الحاكم في الدولة العدو مع رفع سقف النقد الخارجي له ودعم الاعلام الداخلي بوسائل مختلفة للقيام بهذا الدور الذي يظهر به أمام الشعب في الدولة العدو علي أنه يكشف الحقيقة من أجل الشعب المظلوم و المضطهد .

من المشاهد الأكثر شيوعا تواجد آلاف من الجمعيات الأهلية المدعومة خارجيا للتغلغل في المجتمع للتسويق لرؤي تظهر النظام الحاكم في الدولة العدو بأنه يتجاهلهم ويرفضهم ويهمل مطالبهم الطبيعية وحقهم في المسكن والمأكل والمشرب والعلاج والتعليم من أجل احداث حالة التفكيك المطلوبة أيضا .

من المشاهد الشحن الزائد عن الحد و تسويقه اعلاميا بشكل يعادل عشرة أضعاف الحدث فيما يخص العنف الطائفي داخل الدولة المفترضة كعدو . ومن المشاهد ايضا ظهور جماعات دينية راديكيالية متطرفة و ممولة من جهات متعددة معظمها من خارج البلاد تنفذ أجندات كلها عكس بعضها لخلق حالة من الفوضي و عدم الاستقرار .

من أخطر ملامحها هو إيجاد أماكن داخل حدود العدو ليس له سيادة عليها، عن طريق دعم مجموعات محاربة وعنيفة للسيطرة على هذه الأماكن، وتنتهى بتحويل الدولة إلى دولة فاشلة .

وهذا هو مايريدون تطبيقه في سيناء و يحاولون فرضة في الصحراء المغربية ومناطق باكستان الحدودية ..و بدأ يظهر بقوة في بعض المناطق

داخل ليبيا ..و مطبق في مناطق عديدة في السودان و غزة و جنوب لبنان و منذ زمن بعيد في الصومال هذا علي سبيل المثال لا الحصر

وتبدأ بإخراج إقليم من الدولة عن السيطرة، فيصبح خارج سيادة الدولة وذلك باستخدام تحرك المجموعات المحاربة فى الجزء الذي خرج عن سيطرة الدولة لتصنع ما يطلق عليه إقليم غير محكوم أو بمعني آخر هو إقليم محكوم من قبل قوى أخرى خارج الدولة، وينتهى الأمر إلى دولة فاشلة يستطيع أعداؤها التدخل والتحكم فيها و بقسوة كبيرة غير مسبوقة .

الهدف من كل ذلك أنه ليس مطلوبا إسقاط الدولة العدو واختفاؤها بل المطلوب أن تظل موجودة بكامل مواردها وقدراتها، لكن يجرى اختطافها عن طريق التحكم الفكرى والسياسى لنظام الحكم والسيطرة عليه كاملا، بحيث تصدر القرارات والسياسات؛ لا لتعبر عن إرادة الشعب، بل لتعبر عن إرادة الدولة التى احتلت وسيطرت و استخدمت شعب هذه الدولة في المراحل التحضيرية للاخضاع و الأمر شديد المرارة و القسوة أن يتحول المواطنون في هذه الدول الي مسخ ليس له قيمة بل خضعت الذاكرة الذهنية لهم لنظرية أن الآخر هو الأذكي و الأقوي علي التخطيط والتنفيذ ولاجدوي من المقاومة نهائيا حتي بعد ان يتم كشف الحقيقة و يتأكدون أنهم خدعوا وينشأ عن هذا الوضع ظهور شخصيات هلامية تدعي أنها قيادية تستمر في السيطرة علي الشعوب علي نفس النهج لتحقق المزيد من الأهداف للأعداء مقابل مقاعد وأرصدة أقل ما توصف به أنها أرصدة منتفخة بالدماء الحرام وهذا هو الحال في تونس مصر ليبيا اليمن با كستان لبنان ..كل ذلك ايضا علي سبيل المثال لا الحصر كما يري المنظرون

لحروب الجيل الرابع أن الحرب هى الإكراه سواء كانت قاتلة أو غير قاتلة .

أيضا أن الدولة الفاشلة تتآكل ببطء وثبات وإذا فعل هذا بطريقة جيدة ولمدة كافية باستخدام مواطنى دولة العدو فسيسقط عدوك ميتا .

في حالة عدم نجاح هذه الخطط أو مقاومتها بما يؤخر تحقيق الأهداف يكون التدخل العسكري الدموي الشرس جدا و الذي ستستخدم وتجرب فيه كل أنواع الأسلحة و لصعوبة سقوط ليبيا بسهولة تم التدخل العسكري و تفعيل الحرب الأهلية الممولة من كل الجهات داخل سوريا . بالطبع يجب أن نربط ما سبق بكل الشرح و الرؤي السابقة في الجغرافيا السياسية لثلاثة عظماء في هذا المجال و هم :ما كيندر راتزل جمال حمدان

عندما تحدثوا عن قوي البر و قوي البحر و خلق حالات التوتر با حتلال الجذر الصغري و التي تتوسط دولا كبري بتصعيد النزعة لدي الجذر الصغيرة لآن تصبح عظمي و استخدامها لتكون فاعلة في انشاء الصراع و هذا ينطبق علي الدور الذي تقوم به قطر الأن حيث يتواجد بها أكبر قاعدتين أمريكيتين و تمول بناء المستوطنات في اسرائيل كما تمول حالات حروب الجيل الرابع في المنطقة .

هذا هو ما يقاومه الجيش المصري العظيم في هذا التوقيت و سط حالة ابتلاع الطعم من معظم فئات الشعب الذي أصبح جزء كبير منه محبط و الجزء الآخر متخبط و اليوم أدعو الجميع الي الاستفاقة السريعة من أجل انقاذ البلاد و العباد .

الأصول النظرية للحرب الناعمة

أولاً: مفهوم القوة الناعمة تعريفها وأركانها:

عرف منظر "القوة الناعمة" البروفسور جوزيف ناي القوة الناعمة قائلاً "انها القدرة على الجذب لا عن طريق الإرغام والقهـر والتهديد العسكري والضغط الإقتصادي، ولا عن طريق دفع الرشاوى وتقديم الأموال لشراء التأييد والموالاة، كما كان يجري في الإستراتيجيات التقليدية الأميركية، بل عن طريق الجاذبية، وجعل الآخرين يريدون ما تريد"[1].

وتنشأ القوة الناعمة من "الجاذبية الثقافية لبلد ما، والمثل السياسية التي يحملها، والسياسات التي ينتهجها في الواقع، وعندما تبدو السياسات الأمريكية مشروعة بنظر الآخرين تتسع القوة الناعمة الأمريكية. وعندما نجعل الآخرين يعجبون بالمُثل التي نؤمن بها، ونجعلهم يريدون ما نريد فإننا لن نضطر الى الإنفاق كثيراً على موارد السياسات التقليدية – العصا والجزرة – أي على عوامل الإرغام العسكري والإغراء الاقتصادي. ومن أهم المثل الأميركية التي لها قدرة على تحريك وجذب الآخرين نحو الديمقراطية وحقوق الانسان وإتاحة الفرص للأفراد"[2].

وأضاف "القوة الناعمة ليست شبيهة بالتأثير فقط، إذ ان التأثير قد يرتكز على القوة الصلبة للتهديدات والرشاوى المالية، وهي أكثر من مجرد الإقناع أو القدرة على الاستمالة بالحجة، ولو أن ذلك جزء منها، بل هي ايضاً القدرة على الجذب، والجذب كثيراً ما يؤدي إلى الإذعان" وهي

أيضاً "القدرة على تشكيل تصورات الآخرين وترجيحاتهم وخياراتهم وجداول أعمالهم، عبر الإيحاء للآخرين مثلاً أن جدول اعمالهم السياسي بعيد عن الواقع"[٣].

وعند تعريف القوة الناعمة من خلال السلوك تصبح ببساطة "القوة الجاذبة المفضية إلى السلوك المرغوب والمطلوب".

وفي مقابلة مع جوزيف ناي قال "القوة الناعمة تعتمد على ما يجري في ذهن وعقل المتلقي"[٤].

وفي مجال آخر أكد جوزيف ناي قوله الخطير "لا يمكن لأية حملة تواصل استراتيجي مهما كبرت وتوسعت من أن تؤثر في المجال العام للآخرين وهي تروج لشعارات ومطالب وقضايا وقيم وسياسات غير مرغوب بها شعبياً"[٥].

لكن روبرت غايتس وزير الدفاع الأميركي السابق عرّف القوة الناعمة وفق خلفيته العسكرية واصفاً لها بأنها "القدرة على تحديد وتوجيه السلوك بدلاً من فرض الإرادة"[٦].

في حين عرّفها مايكل آيزنشتات الباحث المتخصص في الدراسات الأمنية والعسكرية في معهد واشنطن لدراسات الشرق الادنى[٧] بأنها "استخدام الأقوال والأفعال والصور الانفعالية في إطار حملة إستراتيجية للتواصل، طويلة المدى لتشكيل الحالة النفسية لبلد معاد لأميركا مثل إيران".وحدّد أن نسبة الأقوال والتصريحات الإعلامية يجب أن

تشكل ٢٠% من حملة التواصل الإستراتيجي الناعمة، في حين تتشكل ٨٠ % الباقية من برامج وأفعال وتحركات ملموسة على الارض[٨]".

وعرفتها الباحثة "آنا سيمونز" أستاذة مادة التحليل الدفاعي في كلية الدراسات العليا للبحرية الأميركية NPS بأنها "الجيل والنمط الرابع من حروب المستقبل، بالنظر إلى تبدل موازين الحروب العسكرية

التقليدية، وفشل نمط حرب المدن، ونمط مكافحة التمرد، وتتميز بأنها تستهدف السيطرة على الناس، من خلال الدبلوماسية العامة والاتصالات الإستراتيجية وعمليات المعلومات والتلاعب بالمفاهيم والمشاعر، بعيداً عن احتلال وتدمير المدن ومهاجمة المواقع والقواعد العسكرية واستخدام سلاح الجـو، وغيرها من الأسلحة[٩].

وبناء على مجمل التعريفات، تتشكل القوة الناعمة من خمسة أركان وقدرات هي:

١ــ القدرة على تشكيل تصورات ومفاهيم الآخرين وتلوين ثقافتهم وتوجيه سلوكياتهم.

٢ــ القدرة على تشكيل جدول الأعمال السياسي للآخرين سواء الأعداء أو المنافسين.

٣ــ القدرة في جاذبية النموذج والقيم والسياسات وصدقيتها وشرعيتها بنظر الآخرين.

٤ــ القدرة على فرض إستراتيجيات الاتصال على الآخرين "من يتصل أولاً وكيف".

٥ــ القدرة على تعميم رواية وسرد الوقائع "الفائز اليوم من تفوز روايته للأحداث".

ثانياً: مؤشرات قياس القوة الناعمة؟

طرح أكثر المتابعين سؤالاً عن قابلية القوة الناعمة للتطبيق، كما طرحها صاحب نظرية القوة الناعمة نفسه، وقال إن قادة كبار يطرحون عليه هذا السؤال رغم أنهم في مواقع قيادية عليا..! وأجاب بأن تطبيق القوة الناعمة يحتاج لتوفر شروط، لأن "تحويل الموارد الناعمة إلى واقع متحقق ومنتج للقوة يحتاج إلى خطط استراتيجية جيّدة التصميم وقيادة بارعة، واستغلال للفرص المناسبة والملائمة"[١٠].

وتكون القوة الناعمة في حالة تشغيلية عندما يمتثل الآخرون طواعية للرغبات والطلبات والقيم والسياسات الأميركية من خلال جاذبيتها، ولو مع ملاحظتهم لمظاهر هذه القوة، دون أن يلمسوا وطأة هذه الجاذبية عياناً. فالمغناطيس يحدث حوله حقل جاذبية، دون مشاهدة قوة هذه الجاذبية. أما بالنسبة للموارد فانها الموجودات التي تنتج مثل هذه الجاذبية.

ويمكن معرفة مدى الجاذبية من خلال الآثار والانعكاسات التي تنتجها، كما يمكن قياسها عبر استطلاعات الرأي، وغيرها من المؤشرات والأبحاث المركزة.

وفي الحقل السياسي تقاس القوة الناعمة من خلال دراسة وقياس التفاعلات السياسية التي تحرزها. ويضيف أن "مشكلة الفجوة بين تقييم قوة الموارد ونتائجها السلوكية تطرح أيضا في مجال القوة العسكرية، فلا

يمكن التنبؤ بنتائج القوة العسكرية لدولة ما بصورة مسبقة في حال وقعت معركة عسكرية مسلحة، حتى لو كان لدينا إحصاء دقيق لعدد الدبابات والطائرات والصواريخ والقطع، وتشكيلات المشاة والبحرية وسلاح الجو وما شاكل. وكمثال على تحقق القوة الناعمة من دولة لا تمتلك أي إمكانيات عسكرية أو اقتصادية هو دولة الفاتيكان التي تمتلك تأثيراً قوياً جداً في العوالم الكاثوليكية والمسيحية والدولية[١١]، وفي استعارة عربية للمثل، قال رئيس الحكومة المصرية السابق حازم الببلاوي بأن "مؤسسة الأزهر الشريف من أهم مصادر القوة الناعمة المصرية".

واليوم أصبح هناك مؤشرات وتصنيفات لدرجات القوة الناعمة للدول والحكومات، فوفق تصنيف أجرته مجلة "مونوكل" الدولية حلت ألمانيا في مرتبة أكبر "قوة ناعمة" في العالم متبوّئة بمركز الصدارة على حساب بريطانيا والولايات المتحدة بإنجازاتها الثقافية والرياضية، ومتانة اقتصادها، وذكاء دبلوماسيتها[١٢].

ويشمل التصنيف السنوي للقوة الناعمة الذي تجريه مجلة مونوكل

بلدًا تنال أكبر قدراً من إعجاب الدول والشعوب الأخرى، من خلال الثقافة والرياضة والمطبخ الوطني والتصاميم والدبلوماسية والابتكارات التقنية، والمؤشرات العلمية والتعليمية، والأداء الحكومي، وما شاكل.

وقالت مجلة مونوكل إن المستشارة الألمانية انغيلا ميركل "قد تُصوَّر على أنها استاذة صارمة في انجاز المهمات ولكن يبدو أن لها جانبًا ناعمًا، أو أن للبلد الذي تقوده، مثل هذا الجانب الناعم".

وأضافت المجلة أن صعود ألمانيا بوصفها أكبر قوة ناعمة في العالم ليس مستغربًا، فهي كانت تقليديًا حاذقة في السعي إلى تحقيق افكارها وقيمها واهدافها باستخدام أدوات دبلوماسية وثقافية واقتصادية. وهي "بأدائها الأشياء البسيطة أداء حسناً دون ضجيج تصبح قوة دولية، والباقون منا يشعرون بالارتياح إلى ذلك".

وجاءت بريطانيا بالمركز الثاني بين القوى الناعمة في حين احتلت الولايات المتحدة المركز الثالث في المسح الدولي الذي جرى على أساسه تصنيف القوى الناعمة لعام ٢٠١٣.

ثالثاً: ما الفرق بين القوة الناعمة والحرب الناعمة؟

إلى اليوم لم تعترف الإدارة الأميركية بشن الحروب ناعمة، وقد حاول كتّاب أميركيون في بعض المجلات الأميركية المتخصصة بالقضايا الدولية مثل مجلة فورين بوليسي وغيرها طرح إشكالية على نظرية ومصطلح الحرب الناعمة، فقالوا "ان النظام الإيراني سوق لمصطلح الحرب الناعمة بمهارة وذكاء لأجل الاستفادة منها في الدعاية المضادة ورصف الصفوف الداخلية، ولاختراع حرب وهمية تبرر الإجراءات القمعية والبوليسية للمعارضة الإيرانية".

وهذا ما يتطلب إدراج فقرة خاصة لتوضيح مبهمات تلك الإشكالية والإجابة عليها.

نقول أولاً أن مفردة الحرب وفق التعريف الكلاسيكي للموسوعات العسكرية هي "فن استخدام موارد القوة العسكرية في نزاع مسلح بين

دولتين أو أكثر من الكيانات غيـر المنسجمة، الهدف منها إعادة تنظيم الجغرافيا السياسية للحصول على نتائج وغايات"[١٤] أو هي "شكل من أشكال العلاقات الدولية يستخدم فيها العنف المسلح أو هي "فن تحقيق مطالب جماعية باستخدام القوات المسلحة"[١٥].

وأضاف إليها كارل فون كلاوزفيتز أحد أهم المنظرين العسكريين المعاصرين رؤيته العميقة عندما قال "الحرب نزاع مسلح بين المصالح الكبرى تسيل فيها الدماء، وبهذا تختلف عن النزاعات الأخرى، وهي أداة لحماية مصالح الدول وتوسيع دائرة نفوذها، وهي عمل عنيف يقصد منها اجبار الخصوم على الخضوع لإرادة الدولة او الدول التي تشن الحرب، وهي عمليات مستمرة من العلاقات السياسية، وامتداد للسياسة، لكنها تقوم على وسائل مختلفة، فلكل عصر نوعه الخاص من الحروب، وظروفه الخاصة، وتحيزاته المميزة"[١٦].

وجاء في كتاب "فن الحرب" للقائد العسكري الصيني الشهير سون تزوه Sun Tzu وهو أحد أبرز المراجع المعتمدة في المعاهد العسكرية العالمية أن "أولى مبادئ الحرب أعمال تؤدي إلى خداع وتضليل ومفاجأة وحيرة العـدو"[١٧].

وبالرجوع الى مصدر النظرية من خلال كتاب "القوة الناعمة Soft Power" نجد أن صاحبها جوزيف ناي تجنب عمداً استخدام كلمة "حرب war" وأكثر من استخدم كلمة قوة Power, وهو نوع من الخداع والتضليل، قصد منه ترويج وتسويق نظريته كفكرة دبلوماسية في العلاقات الدولية.

حيث إن التدقيق في عشرات النصوص في سياق أبحاثه ومقالاته تظهر أنه قرنها دائماً بالقوة الصلبة العسكرية، فتحدث في فصل خاص عن المزج بين القوة الصلبة العسكرية والاقتصادية والقوة الناعمة، وأن المزج سيعطي "القوة الذكية". وهو ما يؤكد أنه قصد بالدلالة التضمنية والالتزامية ووفق قواعد المنطق ممارستها بالتزامن والتنسيق مع الحروب الصلبة العسكرية والاقتصادية، وليس كنظرية منفصلة.

وفي ضوئها، دعا ناي في أكثر من مناسبة بأن تعمل القوة الناعمة بانسجام وتوافق تام مع القوة الصلبة العسكرية قائلاً "ينبغي ان تعمل القوة الناعمة بتمازج وتداخل تام مع القوة الصلبة، فالحاجة ماسة إلى سيف القوة الصلبة لأجل تحقيق السيطرة والسطوة العسكرية، في حين تعمل القوة الناعمة على الاستمالة والجذب والإقناع، وتلك هي القوة الذكية Smart power بالمزج بين القوتين[١٨].

وأضاف ناي "بصفتي نائب سابق لوزير الدفاع الأميركي لا يمكن لأحد أن يشك في مدى معرفتي وإقتناعي بأهمية القوة العسكرية الصلبة، ولكننا لن ننجح بالسيف وحده. ولقد نجحنا بمواجهة الإتحاد السوفياتي ليس بالقوة العسكرية والردع العسكري فحسب، وليس من خلال عمليات الحرب الباردة، بل بسبب القوة الناعمة التي قدر لها أن تساعد في تحويل الكتلة السوفياتية من الداخل، ولو استغرق ذلك عشرات السنين.

فالعبرة الأهم هي الصبر والنفس الطويل والمزج والتوازن بين القوتين الصلبة والناعمة وتلك هي القوة الذكية"[١٩].

وعندما ينتقد جوزيف ناي الإدارة الأميركية لاستخدامها المفرط للقوة العسكرية، والقول إنها أضرت بقوتها الناعمة على المدى البعيد، يعني أن القوة الناعمة يجب أن تكون رديفا لاستخدام آلات وأدوات الحرب العسكرية، لكنها تعمل في نفس الحقل والميدان، لتحقيق نفس الأهداف.

وكما أشرنا في المدخل فإن مصطلح "الحرب الناعمة" وليس فقط القوة الناعمة أصبح يدرس في الكليات العسكرية الأميركية كنوع وشكل من حروب المستقبل للقرن .

ويكفي أن نشير إلى أن من وضع وروّج فكرة القوة الناعمة هم قيادات وكوادر عملوا في وزراة الدفاع الأميركية كنواب ومساعدين لوزراء الدفاع، أو كباحثين في مراكز الدراسات والأبحاث المرتبطة بدوائر القرار الأميركي، وبالتالي فهؤلاء من متخرجي المؤسسات العسكرية والأمنية والبحثية المرتبطة بالإدارة الأميركية، وليسوا من متخرجي كليات الفنون الجميلة أو كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وبناء عليه، يعد الاستخدام المركز والمخطط لموارد القوة الناعمة بصورة من قبل دولة معادية – خاصة الإدارة الاميركية – أنها تشن حرباً ناعمة، وليس له تفسير آخر.

رابعاً: سيرة صاحب نظرية القوة الناعمة تكشف أهميتها الاستراتيجية

تسلط السير الذاتية لأصحاب النظريات، وكذلك المواقع والمناصب التي شغلوها ضوءاً على التقييمات الفعلية لأية مقولة أو نظرية وتعكس

أهميتها الإستراتيجية.

البروفيسور جوزيف ناي Joseph Nye مواليد ١٩٣٧ وقد بدأ التنظير لمقولته القوة الناعمة سنة ١٩٩٠ أي لحظة سقوط الإتحاد السوفياتي، ولهذه الإشارة أهمية في بيان جوهر النظرية وسياقها التاريخي.

وشغل في السبعينات ١٩٧٧ – ١٩٧٩ منصب رئيس فريق الأمن القومي لنزع السلاح النووي, ومساعد نائب وزير الخارجية لقضايا الأمن والعلوم والتكنولوجيا.

واعتلى بين عامي ١٩٩٣ – ١٩٩٤ رتبة أعلى منصب في الاستخبارات كمدير لمجلس المخابرات القومية الأميركية NIC (مجمع يضم ١٧ جهازاً استخباراتياً).

وعين بمنصب نائب وزير الدفاع الأميركي للشؤون الأمنية والدولية في عهد الرئيس بيل كلينتون (١٩٩٦ – ١٩٩٨).

تفرغ بعد أحداث ١١ ايلول ٢٠٠١ ونجاح الحزب الجمهوري بالسيطرة على السلطة للعمل الأكاديمي، فاستلم منصب عميد كلية الدراسات الحكومية في جامعة هارفرد، وهي إحدى أعرق الجامعات الأميركية، وحاز مؤخراً على كرسي الزمالة الأميركية، وهو أرفع جائزة تعطى لمن يقدم أطروحات ومنجزات تخدم الدولة الأميركية. وهو الآن يعمل بصفة رسمية كمستشار في مؤسسات الإدارة الأميركية في عهد الرئيس الحالي باراك أوباما. وقد أصدر لغرض شرح نظريته مجموعة من الكتب أهمها:

- ملزمون بالقيادة Bond TO Lead (١٩٩٠)،
- مفارقة القوة الاميركية The Paradox of American power (٢٠٠٢)
- القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية Soft Power (٢٠٠٤)
- مستقبل القوة في القرن الحادي والعشرين The future of power (٢٠١١).

وقد وظف جوزيف ناي ثنائية الصلب / الناعم المستعملة في تقسيم أجهزة وقطع الكومبيوتر الذي يتألف من أدوات ناعمة software وأدوات صلبة hardware لتسويق فكرته ومشروعه.

ويقوم مشروعه على تحويل المعركة من الميدان العسكري الصلب حيث التكلفة الاقتصادية والبشرية والإعلامية والأخلاقية والسياسية الباهظة من رصيد الولايات المتحدة الأميركية، إلى الميدان الناعم وأدواته التكنولوجية والإتصالية والثقافية والإعلامية والسياسية، حيث التفوق لأميركا وحلفائها.

ورغم إيمانه بتفوق أميركا في القدرات والمعدات والوسائل العسكرية، لكنه كان دائماً واثقاً أيضاً من تراجع أهمية القوة العسكرية ومكانتها ووظيفتها الدولية، خاصة في المعارك الطويلة التي لا تحسم بسرعة، مقابل إيمانه بصعود القوة الناعمة ومفاعيلها ونواتجها التدريجية الأقل كلفة على الصعد البشرية والمالية والسياسية.

ويرى أن أعداء الولايات المتحدة الأميركية – ورغم أن البعض منهم منظمات بدائية في مؤشرات وحسابات القوة العسكرية والتكنولوجيا كحركة طالبان والقاعدة أثبتوا أنهم يمتلكون قدرات كبيرة على تبديد أوهام وحدود القوة الأميركية عبر ميزان التفوق في عقائد القتال والمعارك الطويلة والصمود والصبر الذي تفتقر إليه الولايات المتحدة الأميركية.

وكان شديد الانتقاد لما سمي في عرف معاهد الأبحاث الأميركية مقولة "عسكرة السياسات الأميركية" لأنه كان على يقين من أنها ستقود أميركا إلى الفشل والإخفاق، فهو ينتمي إلى الحزب الديموقراطي وتيار الليبرالية الأميركية الواقعية الجديدة ويعارض تيار المحافظين الجدد وسياسات الحزب الجمهوري العسكرية التي قادها جورج بوش ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨.

خامساً: الدواعي الإستراتيجية لاعتماد أميركا خيار القوة الناعمة

يشير الادب الخاص بتغيير الدول لإستراتيجياتها الخارجية إلى أن هناك أربعة أنماط وفقًا للمفكر تشارلز هيرمان[٢٠] (Charles Hermann):

أولا: ما يمكن وصفه بالتغير "التكيّفي", ويقصد به التغيّر في مستوى الاهتمام الموجه إلى قضية ما مع بقاء أهداف السياسة وأدواتها تجاه التعاطي مع تلك القضية كما هي من دون المساس بها أو تغييرها.

وثانياً: وهو ما يطلق عليه التغيّر "البرنامجي"، والذي ينصرف إلى تغيير أدوات السياسة ووسائلها من دون أي تغيير فيما يتعلق بالأهداف والغايات المقصودة من ورائها.

وثالثاً: ما يسمى بالتغير "الهدفي"، وفي هذا النمط تتغير أهداف السياسة ذاتها ومن ثم تتغير أدواتها ووسائلها بالتبعية.

ورابعاً: التغير "التوجهي"، وهو أكثر الأنماط الأربعة جذريةً إذ ينصرف إلى تغيّر يمس التوجه العام للسياسة الخارجية للدولة بما في ذلك تغيّر الاستراتيجيات وما يتبعها من أهداف وغايات ووسائل وأدوات. ولا يمكن فهم أي تغيير في الإستراتيجية بمعزل عن البيئة التي تطبق فيها.

ويمكن القول بأن سلسلة الهزائم العسكرية الأميركية والأطلسية في حربي أفغانستان والعراق وفي لبنان وغزة وبمواجهة إيران ومحور المقاومة، والصعود الآسيوي الصيني الروسي ودول البريكس والأزمة المالية الاميركية والغربية التي اندلعت عام ٢٠٠٨ من العوامل التي دعت إلى إعادة صياغة السياسة الخارجية الأمريكية وساهمت في انتخاب باراك أوباما رئيساً للولايات المتحدة نهاية عام ٢٠٠٨ وهزيمة مرشح الحزب الجمهوري جورج بوش الابن.

وبحضور كبار قادة المؤسسة العسكرية الأميركية وعلى رأسهم وزير الدفاع السابق ليون بانيتا، Leon Panetta، ورئيس هيئة أركان القوات المشتركة وقادة الأسلحة المختلفة، ومن على منصة مؤتمر صحفي عقده في مقر وزارة الدفاع، أماط الرئيس الأمريكي اوباما اللثام عن أهم ملامح

المراجعة الإستراتيجية، أو ما أصطلح على تسميته بـ "الإستراتيجية الدفاعية الأمريكية الجديدة وتعزيز استدامة قيادة الولايات المتحدة للعالم – أولويات دفاع القرن الواحد والعشرين":

Sustaining U.S. Global Leadership: Priorities for st Century Defense

وتتكون الوثيقة من ١٢٨ صفحة، وقد استغرق وقت صياغتها عاماً كاملا, وشارك في إعدادها ٧٠٠ شخصية من وزارة الدفاع ومنظومات التسليح ومراكز الدراسات المعنية وخبراء عسكريين بهذا الشأن.

وما يثير الانتباه حقا أن هذه الاستراتيجية قد صدرت بعد مرور حوالي عام ونصف تقريبا على صعود هذه الإدارة (ادارة اوباما). وهذا يعني أن إدارة أوباما الديمقراطية، قد ظلت طوال العام والنصف تقريباً بلا استراتيجية أمن قومي، وهو ما دفع العديد من المراقبين إلى اعتماد وجهة نظر افترضت أن إدارة أوباما تبنت استراتيجيات حقبة بوش.

ويمكن القول إن السطور الأولى في هذه الاستراتيجية تلخص أزمة العقل السياسي الأميركي المعاصر، الذي مازال أكثر تمسكاً بمشروع السيطرة على العالم, وهي السيطرة التي أطلق عليها الحزب الجمهوري تسمية "الهيمنة الأميركية على العالم" وأطلق عليها الحزب الديمقراطي تسمية "قيادة أميركا للعالم"، ورغم الفرق الشكلي فإن المضمون هو نفسه بين القيادة والهيمنة.

ومن جديد تلك الإستراتيجيات اعتماد الحروب الذكية في المجال العسكري ودبلوماسية القوة الذكية في السياسة الخارجية.

الحرب الذكية عرّفها إيون بانيتا وزير الدفاع الأميركي السابق بأنها "الجمع بين القصف المنظّم والدقيق التصويب، والقوة الجوية والبحرية الضاربة، والتفوّق الإلكتروني والمعلوماتي". وهي تحوّل جوهري من عقيدة الحرب على جبهتين أو بمسرحي عمليات إلى عقيدة القيادة من الخلف، Leading From Behind، أو الحرب الخاطفة ذات العمليات الجوية والبحرية المحدودة، بفرق خاصة خفيفة، وتوظيف لمنظومة مُعقّدة ومتكاملة لأحدث تقنيات التشويش والتجسس والاختراق والتنصت، وتكنولوجيا المعلوماتية والحرب التكنولوجية واستخدام الطائرات دون طيار Drones.

أما دبلوماسية القوة الذكية فقد عرفتها وزيرة الخارجية السابقة هيلاري كلينتون في جلسة استماع في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بتاريخ ١٣ كانون الثاني ٢٠٠٩ بما حرفيته "أنا أعتقد أن الزعامة الأميركية كانت ضعيفة وغائبة، لكنها الآن ما زالت مرغوبة. فعلينا أن نستخدم القوة الذكية، أي مجمل الأدوات المتاحة في تصرفنا – من دبلوماسية واقتصادية وعسكرية وقانونية وثقافية – ونختار الأداة الملائمة، أو مجموعة الأدوات، لكل حالة. وسنقود بالدبلوماسية، لأنها هي الأسلوب الذكي. لكننا نعلم أيضا أن القوة العسكرية ستكون ضرورية في بعض الأحيان وسنعتمد عليها لحماية شعبنا ومصالحنا حينما وأينما تطلب الأمر إليها كملاذ أخير، وندرك أنه في الوقت الذي تستمر فيه ديمقراطيتنا في إلهام الناس حول العالم، أن تأثيرها يكون عظيما عندما نفي نحن ونلتزم بتعاليمها".

ان سياق القوة – عامل الارتباط بين القوة وتأثيرها في لحظة ما – قد تغيـــر بفعل عوامل لها صلة بالعولمة وانتشار وسائل الإعلام والإتصال والمعلومات، ويقظة المشاعر القومية والإقليمية، ولعدم ردعية السلاح النووي، وضعف شهوة الغزو والاستعمار العسكري لدى الدول الكبرى، وتغيير وتبدل أشكال القوة، لأن معادلات القوة لا تعمل إلا في السياق والإطار الذي توجد فيه علاقات وموازين القوى، فالدبابات مثلاً لا تعطينا النتائج المرغوبة في حرب المستنقعات ولا تصلح لحروب الغابات، ومدفعية الميدان لا تنتج مفاعيلها في مجال الدفاع الجوي.

والحرب الإلكترونية السيبيرية لا تواجه بالسفن البحرية، فلكل حرب اسلحتها الفعالة وتوجهها أسلحة مضادة لها تناسب سياقها، واليوم تبدل سياق القوة مرجحاً موارد القوة الناعمة"[٢٢] وأضاف "لقد أضحى من الصعب، في العالم المعاصر، استخدام العصا، إذ القوة العسكرية أصبحت – على الرغم من ضرورتها كسياسة ردع وإكراه – صعبة جداً، وأصبحت الحرب أمراً مكلفاً من الناحية المادية...ومثار مزايدة ومناهضة من هنا أو هناك. ومن الواضح لدي ان معظم مفاصل التاريخ مصوغة على أساس وزن كل دولة في العلاقات الدولية، مقاسا بالقوة العسكرية التي تحتكم إليها، أي بالجيوش المدربة والمنظمة، والأسلحة المتفوقة، وجلد الجنود والمقاتلين ومهاراتهم، إلا أن هذا المعيار – العسكري– لم يعد حاسماً أو فريداً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، بل لربما أصبح عبئاً اقتصادياً،

ومصدر نزيف بشري ومادي، قد يؤدي للضعف والتراجع، وربما للانهيار".

ويستند جوزيف ناي لنجاح تجربة القوة الناعمة مع الاتحاد السوفياتي، فـ "الجماهير السوفياتية كانت تشاهد الأفلام، وتتمثل خلفياتها السياسية، وعبرها استطاعت ذات الجماهير، معرفة أن الناس بالغرب لا تقف في طوابير لاقتناء الطعام، وتقيم في مساكن مستقلة، ولديها سياراتها الخاصة".

ومن ناحية أخرى "القوة الناعمة هي الأقل كلفة والأكثر فعالية اليوم لتوفير القدرة على التأثير في سلوك الآخرين والحصول على النتائج والأهداف المتوخاة دون الاضطرار الى الاستعمال المفرط للوسائل العسكرية الصلبة، وهي الأقدر على تشكيل خيارات الآخرين وجدول أعمالهم السياسي، وكل دولار يُصرف في مجالات القوة الناعمة أفضل وأجدى بأضعاف من ١٠٠$ تصرف مجالات القوة الصلبة العسكرية أو العقوبات الإقتصادية".

وتطابق تبريرات جوزيف ناي مع خطاب وزيرة خارجية أميركا السابقة هيلاري كلينتون في مجلس العلاقات الخارجية للكونغرس من أن "أميركا غير قادرة على حل مشاكل العالم وحدها، لكن العالم لا يستطيع حل مشاكله بدون أميركا" وهو ما يفرض التعاون الدولي لمعالجة مشكلات العالم بدلاً من شن الحروب، ومن هذه المشكلات التغيّر المناخي والبيئي / النفط والطاقة / الزيادة السكانية / العملات والذهب / انتشار الإرهاب / قرصنة الانترنت / انتشار الأسلحة / حقوق الملكية الفكرية والمعلوماتية / الخ.

ولهذا ينصح جوزيف ناي من يتصدى للعمل في الإستراتيجيات

والسياسات الدولية أن يعرف أن "القوة لها ثلاثة أشكال: القوة الصلبة العسكرية والقوة الاقتصادية والقوة الناعمة".

والقوة متداخلة بطبيعتها، فالقوة الصلبة لا تنفصل عن القوة الناعمة ولا عن القوة الاقتصادية، فأشكال القوة الثلاث تشكل أبعاد القوة والتفوق والهيمنة والسيطرة في السياسة الدولية.

وجدول أعمال السياسة العالمية قد أصبح اليوم مثل لعبة الشطرنج ثلاثية الأبعاد، لا يمكن الفوز بها إلا اذا لُعبت بطريقة عامودية وأفقية، ومشكلة بعض اللاعبين والزعماء أنهم لا يستطيعون اللعب إلا في اتجاه أو بعد واحد – أي إما إعلان وشن الحروب العسكرية أو فرض العقوبات الاقتصادية".

سادساً: موارد ومصادر الحرب الناعمة

حدد جوزيف ناي موارد القوة الناعمة في ثلاثة محاور:

- الثقافة والمثل الأميركية في الأماكن التي تكون جذابة للآخرين.
- القيم السياسية عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج.
- السياسات الخارجية عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة أخلاقية ومعنوية.

ونفس المورد قد يكون جذاباً ومكروهاً منفراً في آن واحد، فانتاج هوليود من الأفلام مكروه لدى علماء الدين في إيران كما يقول جوزيف

ناي، لكنه جذاباً للشباب والفتيان في إيران أيضاً، والأفلام الأميركية مكروهة في السعودية لكنها جذابة في الصين.

في حين أن المصادر المنتجة لموارد القوة الناعمة هي:

- مصانع هوليود وجيوش الفنانين والممثلين الأميركيين، والإنتاج السينمائي.
- جيوش الطلاب والباحثين الأجانب الوافدين للدراسة في الجامعات والمؤسسات التعليمية، فهم سيشكلون جيوش يحملون معهم آلاف النوايا الطيبة والودائع الحسنة عندما يعودون الى بلدانهم واوطانهم ويتقلدون المراكز والمواقع العليا وسيصبحون سفراء غير رسميين لخدمة أميركا.
- المهاجرون ورجال الأعمال الأجانب في قطاع الأعمال الأميركي.
- شبكات الإنترنت ومحركات البحث العالمية Google وYahoo وتويتـــر وفيسبوك وغيرها والمواقع الأميركية المنتشرة في الفضاء الالكتروني.
- برامج التبادل الثقافي والعلمي الدولي والمؤتمرات الدولية.
- الشركات الاقتصادية العابرة للقارات خاصة قطاع الإتصالات والمعلوماتية.
- الرموز والعلامات التجارية مثل كوكا كولا وماكدونالدز وغيرها.
- مشاريع وكالة التنمية الدولية الأميركة USAID.

- وسائل الإعلام الأميركية الدولية CNN / واشنطن تايمز / الخ.
- نفوذ الإدارة الأميركية في المنظمات الدولية مجلس الأمن / الأمم المتحدة / منظمة التجارة الدولية الغـــات / الخ.

وبالإجمال ترتكز القوة الناعمة على كل المؤثرات والأدوات سواء كانت إعلامية أو سينمائية أو ثقافية أو تعليمية أكاديمية أو تجارية أو دبلوماسية وعلاقات عامة، وكل مصدر ومورد لا يدخل ضمن تصنيف القدرات العسكرية والقوة الصلبة.

ويلاحظ أن جوزيف ناي حدد الموارد التي تعزز القوة الناعمة الأميركية دون الموارد التي تدمر أو تضعف القوة الناعمة للخصوم والأعداء والمنافسين، وذلك لدواعي السرية.

سابعاً: القوة الناعمة السالبة لإضعاف جاذبية القوة الناعمة للآخرين

لكل قوة وجهان، جاذب وطارد، كما لأية مادة ذرة سالبة و ذرة موجبة.

وقد أغفل جوزيف ناي عن قصد الموارد والمصادر التي يتم تصميمها لضرب الموارد الناعمة للآخرين. فالولايات المتحدة الأميركية تريد من جهة أن تكون جذابة بنظر الآخرين لتأخذ منهم مواقع النفوذ وتسحب منهم الجمهور، لكن بالمقابل تريد تدمير ما لدى الآخرين من قوة ناعمة. ولهذا أفرد فصلاً كاملاً لبحث قوة الآخرين الناعمة.

وتركيز أميركا على تلميع صورتها عن طريق قوتها الناعمة، لا يجب أن يلغي من الذهن الجهود السرية البعيدة عن الأضواء - عن طريق وكالاتها وأجهزتها الأمنية - لإضعاف قوة الآخرين الناعمة، سواء كانوا من أعدائها إيران / سوريا / حزب الله / محور المقاومة/ كوريا، فنزويلا / كوبـــا أو من منافسيها الصين / روسيا / الهند / الخ.

وقد تسربت نماذج عن هذه العمليات السرية الناعمة عن طريق بعض الصحافيين، كالوثائق التي كشفت أحداث فتنة الانتخابات الرئاسية في إيران عام ٢٠٠٩ وتأكدت بموجب التحقيقات والاعترافات التي أقر بها البعض من الموقوفين والمعتقلين الايرانيين والغربيين.

كما كشفت الصحف الأميركية جانباً من الحرب الناعمة على حزب الله في لبنان من خلال تسريب شهادة جيفري فيلتمان أمام الكونغرس الأميركي خلال مناقشته نفقات مشروع جرى تمويله بميزانية نصف مليار دولار أميركي لـــ "إضعاف جاذبية حزب الله "[٢٦].

وبناء عليه، تعتبر كل مصادر القوة الناعمة التي تملكها أي دولة أو منظمة معادية أو حتى مجرد مناقسة لأميركا هدفاً يجب تدميره أو إضعافه. حتى تنفرد بمصادر القوة لوحدها.

في إيران مثلاً تعمل القوة الناعمة الأميركية والبريطانية على إضعاف القوة الناعمة الإيرانية من خلال مهاجمة "نظام وحكومة ولاية الفقيه وشخص الولي الفقيه" وهو ما حصل في فتنة ٢٠٠٩.

وفي آواخر عام ٢٠١٣ مثلاً قامت وكالة رويترز العالمية للأنباء

بهجوم إعلامي على الإمام الخامنئي ، عبر بثها وتوزيعها سلسلة تقارير حول "تحكم الولي بأضخم الشركات الإقتصادية، ويمتلك ١٠٠ مليار دولار في مؤسسة عامة تعنى بالأملاك المصادرة" وما شاكل.

تعتبر وكالة رويترز من أبرز مصادر القوة الناعمة البريطانية، وفق وثيقة صادرة عن مجلس اللوردات البريطاني الذي شكل لجنة خاصة لتفعيل القوة الناعمة مؤلفة من قناة BBC / المجلس الثقافي البريطاني في العالم / وكالة رويترز / منظمة العفو الدولية ومقرها في لندن/..الخ.

وينطبق الأمر على حزب الله، حيث يتم المس يومياً بالأمين العام حسن نصر الله باعتباره من أبرز مظاهر القوة الناعمة لحزب الله.

ولهذا، بمجرد انتهاء الأمين العام من أي خطاب، يتم البحث في كل كلمة قالها، لإيجاد مادة خصبة لشن "عملية ناعمة" عبر القنوات والشاشات والمواقع المعادية.

ومحاولة المس يومياً بسلاح المقاومة عن طريق إثارة موضوع شرعية السلاح. وترداد شعارات ورسائل وتصريحات من قبيل "السلاح يخرب الاقتصاد الوطني، ويمس بالعيش المشترك" الهدف الوحيد لها "إضعاف قوة وجاذبية حزب الله".

ولعل الخبر المكرر الذي تتداوله بعض الصحف والشاشات المعادية عن تشغيل حزب الله لشبكات مخدرات وغسيل أموال في أميركا اللاتينية هو من نماذج العمليات الناعمة التي تقوم بفبركتها وصناعتها ماكينة الحرب الناعمة الأميركية.

وبناء عليه، تعتبر كل عناصر القوة الناعمة لدى أعداء أميركا هدفاً محتملاً للحرب الناعمة في نطاق يشمل "ضرب وتدمير معنويات الطلاب والعلماء ورجال الأعمال، ورجال الإعلام والكتاب والشباب، ورواد الإنترنت وعلماء الدين، وعموم نخب وفئات المجتمع والرأي العام وعناصر قوة النظام وشعاراته" وفق ما أشار إليه العميد رحيم صفوي المستشار العسكري لقائد الثورة الإسلامية

ثامناً: أشباه ونظائر الحرب الناعمة في التاريخ المعاصر

لم يكن مصطلح الحرب الناعمة مألوفا في الأذهان، على الأقل على المستوى الجماهيري في منطقتنا إلى أن جرى تداوله على نطاق واسع بعد الانتخابات الرئاسية الايرانية عام ٢٠٠٩ وخاصة من قبل الامام الخامنئي دام ظله.

وسابقاً راجت مصطلحات كثيرة للدلالة على المجال الذي تؤثر فيه دولة على فكر ورأي دولة او شعب أخر معاد لها، ونذكر منها هندسة المزاج حسب تعبير CIA / حرب الأعصاب / الحرب الباردة / حرب الإرادات / حرب المعنويات / الحرب السياسية / العمليات النفسية حسب التعبير البريطاني / الدعاية وفق التعبير النازي الألماني / حرب الكلمات والمعتقدات / حرب الأيديولوجيات / غسيل المخ والدماغ / الحرب بلا قتال / الغزو الثقافي والفكري / حرب الأفكار / الحرب الثقافية / الخ).

لكن أكثر المصطلحات رواجاً في الساحة الإعلامية والأكاديمية والعسكرية هو الحرب النفسية والدعاية، كما استعمل بعض الكتاب

مصطلحات وعبارات خاصة مركبة للدلالة على تأثير الدعاية والاعلام على العقول مثل "قصف العقول " و"التلاعب بالعقول" وما شاكل.

ومنذ العام ٢٠٠٤ تاريخ نشر كتاب القوة الناعمة Soft Power دخل هذا المصطلح بقوة إلى قاموس العلاقات الدولية والجامعات ومراكز البحث ليحل محل مصطلح الحرب النفسية والدعاية.

وأصبحت محركات البحث على شبكات الإنترنت تعطي آلاف النتائج عن الكتب والمقالات ذات الصلة.

ولدى التدقيق في تلك المصطلحات في المعاجم والموسوعات نجد أنها تتشابه وتتشارك في الكثير من النقاط، خاصة لناحية الأهداف، ويمكن تلخيصها بالآتي:

١ــ التأثير على مزاج الرأي العام ودفعه نحو أهداف محددة تبديل مزاج الرأي العام الإيراني ضد مشروع ولاية الفقيه أو تبديل مزاج الرأي العام اللبناني ضد المقاومة وحزب الله مثلاً.

٢ــ تحويل منظومة قيم ومفاهيم الطرف المستهدف نحو قيم ومفاهيم جديدة مثل ترويج الديموقراطية الغربية والعلمانية بدلاً من ولاية الفقيه أو السيادة الدينية الشعبية .

٣ــ تمهيد الأرضية والبنية التحتية للمشاريع الإستراتيجية وتعبيد الطريق أمامها، وتشكيل المناخ السياسي الملائم لها مشروع الشرق الأوسط الكبير/ فرض نقاط على جدول أعمال مفاوضات جنيف مع ايران/ تمهيد مناخ الحرب على سوريــا / اضعاف حكومة نوري المالكي في

العراق عن طريق طرح أسماء بديلة من تحالفه الخاص وتفكيك تحالفاته السياسية مع القوى الكردية والسنية...الخ.

٤ـ خدمة الأجندات والأهداف السياسية والاقتصادية للدول تفكيك الإتحاد السوفياتي والأنظمة الاشتراكية لأجل سيطرة الرأسمالية الغربية على العالم أيام الحرب الباردة (تمرير خط أنابيب الغاز المسمى خط نابوكو من أوروبا الى تركيا الى سوريا الجديدة بعد اسقاط الرئيس الأسد..الخ).

٥ـ تفكيك قوة الطرف المستهدف وإضعافه وتبديل جدول أعماله السياسي السعي لتفكيك تحالفات حزب الله السياسية في لبنان والمنطقة وفرض الحرب التكفيرية عليه بدل التفرغ لمشروع المقاومة.

والخيط الجامع بين تلك المصطلحات هو الحصول على النتائج والأهداف المتوخاة دون التورط بالحرب العسكرية المباشرة التي تكلف بذل الدماء والإحتلال الجغرافي للأراضي.

لكن البحث يقود الى نتيجة تفيد بان جميع تلك المصطلحات – بما فيها الحرب الناعمة – تدور في فلك الحروب العسكرية، اما لدعم وإسناد الجهود العسكرية، أو لإيجاد البدائل لها في حال توفرت البدائل غير العسكرية (الحرب الناعمة على إيران ٢٠٠٩)، أو للتمهيد أو التلويح بحرب عسكرية في أطار الحرب النفسية (نموذج سوريا قبل الإتفاق في مجلس الأمن على تسليم السلاح الكيمياوي)، أو لغسل صورة حرب عسكرية فاشلة أضرت بسمعة أميركا استعمال القوة الناعمة (لغسل حرب أميركا على العراق).

وفي هذا الضوء، ندرك أن مصطلح الحرب الناعمة راكم معاني المصطلحات السابقة عليه، من خلال تطور تاريخي رسمته أحداث عسكرية وجيوسياسية مفصلية نهايات القرن العشرين، وبدايات القرن الواحد والعشرين، تحت تأثير قفزات التطور الهائلة التي حدثت في عالم وسائل الإتصال والإعلام متمثلة بالجيل الربع للتكنولوجيا (الهواتف النقالة / الفضائيات/ الإنترنت / شبكات التواصل الإجتماعي).

وبمعنى أخص، الحرب الناعمة منتج جديد ابتكر ليتناسب مع متطلبات بيئة القرن ٢١، تشتق روحها من الحرب الباردة، بمواجهة عقائد جديدة الصحوة الإسلامية وبلدان وقوى ونظم تواجه المشروع الأميركي الإسرائيلي في المنطقة محور المقاومة في إيران وصولاً إلى سوريا الممانعة وقوى المقاومة ولمقارعة من تصنفهم أميركا بالمنافسين لها على الساحة الدولية كدول البريكس وخاصة الصين وروسيا ومواجهة الدول المارقة فنزويلا / كوبا / كوريا /..الخ.

تاسعاً: الحرب الناعمة والحرب العسكرية في غرفة العمليات المشتركة

بينا في فقرة سابقة أن الحرب الناعمة أصبحت ركناً من أركان العقيدة القومية الأميركية، وجزءاً من الإستراتيجية الأميركية للمنطقة. لكن ينبغي أن نحدد الجهات العملياتية التي تتولى تنفيذ الوظائف والأهداف أي هيئة أركان الحرب الناعمة.

من يطلّع على أرشيف المخابرات الاميركية CIA التي تسربت بصورة علنية على شكل وثائق مؤخراً[٢٨] وما تسرب من وثائق نشرها موقع ويكيليكس يفهم ترابط الإستراتيجيات والسياسات وآليات التخطيط والتحرك مع نمط عمل الأجهزة والأذرع التنفيذية للإدارة الأميركية التي يعهد إليها مباشرة تنفيذ الحرب الناعمة على إيران وحزب الله ومحور المقاومة.

لكن البعض وقع في خطأ منهجي وتوهم أن الحرب الناعمة هي حرب إعلامية تارة أو حرب ثقافية أو سياسية تارة اخرى، أو حرب إقتصادية مرة، منفصلة عن الحروب الإستخباراتية والعسكرية والنفسية. فطرح إشكالات عن الخيط الجامع بين المسلسلات التلفزيونية والحروب العسكرية، والجامعات مع الحروب البرية، والمطاعم مع الحروب الأمنية، والعقوبات الإقتصادية مع الحروب النفسية..؟

القراءة المعمّقة والفاحصة لوثيقة الميثاق الرسمي لوكالة المخابرات المركزية الاميركية CIA تفك هذا اللغز، حيث يعثر على عنوان يشرح بعضاً من هذه الروابط وينص على "إغتيال وحذف شخصيات مؤثرة في الجبهة المعارضة للنظام المستهدف في سبيل دعم أهداف نفسية ودعائية في إطار خطة تحرك كبرى، وتسليح جماعات منشقة عن النظام المستهدف" و"شراء ذمم زعامات وكتاب صحف ومدراء إذاعات ودور نشر ومحطات تلفزيونية لتهيئة الأرضية أمام الأعمال السرية[٢٩]".

كما أن الباحث الأميركي ستيف هامونز Hammons Steve وصف هذا التشابك بمقولته "القوة التجاوزية الفائقة" قائلاً "ترتكز القوة

الفائقة على دمج مجموعة من موارد القوة الصلبة والناعمة، وتتضمن استخدام الدبلوماسية، والموارد الثقافية، والعمليات الإنسانية، والعمليات الاستخباراتية القائمة على المعلومات البشرية، وعمليات الحرب النفسية، والعمليات العسكرية، والتكنولوجيا المتقدمة".

وبناء عليه، هناك غرفة عمليات مشتركة لتنسيق الجهود على ٣ جبهات:

- جبهة الحرب الناعمة لتدمير القوة الناعمة لـ"الهدف" وإضعاف جاذبيته.
- الحرب الصلبة العسكرية والنفسية للإحتواء والردع وزعزعة الأركان، ويدخل من ضمنها دعم المنشقين والمجموعات التكفيرية كما سنبين.
- الضغوطات الإقتصادية والحصار والعقوبات لشل موارد الهدف.

وتتألف غرفة العمليات المشتركة من الوزارات والوكالات الآتية:

١ـ وكالة الإستخبارات الأميركية CIA (تتولى جمع المعلومات وإعداد الدراسات والأبحاث عن النظم والجهات والشخصيات المستهدفة، وإدارة الحرب النفسية، وتجنيد العملاء، وتنفيذ الإغتيالات والانقلابات والثورات الملونة، وتعمل من خلال السفارات الأميركية حول العالم، ومن خلال محطات ومكاتب منفصلة ومستترة بشركات تجارية).

٢ـ وزارة الخارجية الأميركية: تتولى الدبلوماسية والوكالات المدنية والتواصل مع الشخصيات والقوى السياسية من خلال السفارات.

٣ــ وكالة التنمية الدولية الأميركية USAID: تتولى إدارة المشاريع التنموية في مختلف دول العالم، وتمويل منظمات المجتمع المدني، ولها في لبنان ١٢ مكتباً في مختلف المناطق والمحافظات.

٤ــ هيئة حكّام البث الحكومي الأميركي: تدير قنوات البث التلفزيوني والفضائي وشبكات الإنترنت الحكومية، وتسمى في الإعلام "مكتب الدبلوماسية العامة"، مركزها واشنطن.

٥ــ وزارة الدفاع (البنتاغون): تتولى قيادة الجيوش والقواعد العسكرية الأميركية المنتشرة حول العالم، وتدير الحرب الصلبة والنفسية، وجمع المعلومات الإستخباراتية وإعداد الدراسات الإستطلاعية حول البيئة والأرضية السياسية للخصوم والأعداء والتوصيات الإجرائية حيالها . خاصة من خلال مركز الأبحاث الدفاعية المعروف باسم RAND وله فروع في قطر والإمارات.

٦ــ وكالة الأمن القومي: تتولى جمع المعلومات الإلكترونية عبر التنصت على إشارات واتصالات معظم دول وشخصيات وقادة العالم، سواء الإتصالات السلكية أو اللاسلكية، وجمع المعلومات عن طريق شبكات الإنترنت العالمية كشركة Google ومواقع التواصل الإجتماعي كتويتر وفيسبوك، لا بل أن هذه المواقع مملوكة وتابعة تنظيمياً لوكالة الأمن القومي والبنتاغون، ويندرج منها أيضاً التنصت على مجمل الهواتف الذكية الجديدة الأكثر استعمالاً، وخاصة عبر برامج وتطبيقات التشغيل المجانية كالواتس أب Whats app، وهو ما دفع "لجنة تشخيص الجرائم" في الجمهورية الإسلامية في إيران لإصدار قرار يعتبر هذه الشركة محظورة

لارتباطاتها السرية بالوكالات الأمنية الأميركية[٣١].

وقد فجر العميل الأميركي الفار إلى روسيا "إدوارد سنودن" فضيحة مدوية عندما بين أنشطة هذه الوكالة وبين حجم اختراقها لشبكات الإتصالات العالمية، بما في ذلك هواتف الحلفاء (من بينها التنصت على هاتف المستشارة الألمانية انجيلا ميركل).

عاشراً: الفرق بين الحرب النفسية والحرب الناعمة والغزو الثقافي

كانت الحرب النفسية تكتفي بتحقيق التأثير والدعاية والتلاعب بالرأي العام والإقناع السياسي "ولو دون توفّر أدلة ذات صدقية" كما كان يعرفها قسم هندسة المزاج ودائرة الحرب النفسية والدعاية في وكالة المخابرات المركزية الامريكية CIA أثناء الحرب الباردة[٣٢]. أو "التأثير في السكان المدنيين غير المسلحين بهدف جمع المعلومات ومضاعفة الإنشقاق والإرتداد في صفوف العدو" وفق تصور الإستخبارات البريطانية[٣٣].

في حين عرفت موسوعة المعطيات الحرة الحرب النفسية بأنها "الإستعمال المخطط والمُنهج للدعاية ومختلف الأساليب النفسية للتأثير على آراء ومشاعر وسلوكيات العدو بطريقة تسهل الوصول للأهداف. كما أنها وسيلة مُساعدة لتحقيق الإستراتيجية القومية للدولة. وتُشن في وقت السلم والحرب على السواء، وتُستخدم فيها كل إمكانيات الدولة، ومقدراتها سياسية، واقتصادية، وعسكرية، وإعلامية وغير ذلك"[٣٤].

هذه الوظائف للحرب النفسية كانت تصلح في زمن الحرب الباردة والحروب التي سبقتها الحربين العالميتين الأولى والثانية وقد انتهت

صلاحيتها ولم تعد تجدي نفعاً في عصر العولمة والمعلومَات كما صرح جوزيف ناي، لأن توسع وسائل الإعلام وانتشارها بين أيدي الجميع وظهور لاعبين من غير الدول - شبكات ومنظمات وناشطين - غير مفاهيم المصداقية والشرعية السياسية والسلطة التي كانت تحتكرها الدول، ما أدى الى القفز نحو اتجاهات ووظائف جديدة أنتجت الحرب الناعمة، وتوسعت وظائفها لتشمل:

١ــ تشكيل التصورات والمفاهيم العامة.

٢ــ بناء البيئة والأرضية السياسية الملائمة لترسيخ قواعد السياسات المطلوبة.

٣ــ نزع الشرعية والمشروعية والصدقية عن الخصم نظاماً أم قيادة.

٤ــ تغيير شخصية النظام والقيادة لدى الخصم واستبدالها بقوى وشخصيات بديلة.

٥ــ قلب الحقائق وتحويل نقاط القوة الى نقاط ضعف والفرص إلى تهديدات.

٦ــ جذب جمهور الطرف المستهدف نحو المفاهيم والقيم بدون بصمات واضحة.

الفرق بين الحرب النفسية والحرب الناعمة بجملة واحدة "الحرب النفسية فرع من فروع الحرب الناعمة، لتبديل إرادة الخصم وتغيير حساباته".

وفي دراسة لمركز قيم ورد أن الحرب الناعمة لا تعد منهجاً جديداً مقابل مناهج الحرب النفسية والدعاية، بل هي تطور في الوظائف والأهداف ناجم عن تطور كمي ونوعي هائل في وسائل ووسائط الإتصال والإعلام[٣٦]، ويمكن اعتبار الحرب الناعمة افرازاً طبيعياً وحتمياً مرتبطاً بسعة انتشار ونوعية أدوات الجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام الفضائيات / أجهزة الإتصال الخلوية الرقمية / مواقع وصفحات الإنترنت / شبكات التواصل الاجتماعي/ البرمجيات [٣٧] (Software).

وللإيضاح سنعرض نصاً نشره موقع وزارة الخارجية الأميركية حول برنامج المجتمع المدني ٢,٠ كأحد برامج القوة الناعمة، بما يشير لنوعية هذا الإنقلاب:

"لقد أحدثت التطورات الأخيرة في تكنولوجيا الاتصال كالهواتف النقّالة ومنصات الشبكات الإجتماعية ثورة في طريقة تبادل المعلومات، والإتصالات، والتنظيم، ومناصرة مصالحنا. تملك هذه التطورات القدرة على تعزيز المجتمع المدني حيث تتواجد حالياً - ويمكنها تنميته حيث لا تتواجد. فمن خلال خفض الحواجز أمام إنتاج وتوزيع المعلومات، أصبح الملايين من منتجي ومستهلكي وسائل الإعلام الجديدة قادرين على التنظيم، والتواصل، والتعلم، والمشاركة في بلدانهم ومجتمعاتهم الأهلية بكفاءة لم يسبق لها مثيل. ومع امتلاك التكنولوجيا الرقمية، تم تمكين الأفراد الذين كانوا دون صوت في السابق، من المشاركة في النطاق العام وتوسيع تنوع الآراء المتوفرة. ومن أجل الخوض الناجح عبر هذه البيئة من وسائل الإعلام الجديدة، يجب على صانعي السياسة، والاستراتيجيين، والمنظمات

غير الحكومية، والحكومات مقاومة الإغراء للعمل والاتصال من خلال نموذج القرية العالمية الذي أصبح قديم الطراز الآن، وأن يعتمدوا على البيئة المحلية، من الأسفل إلى الأعلى، وعلى البيئة المعادية لمواقع تويتر، ورسائل فيسبوك، وتحديثات فور سكوير. لقد ترك الناس مع أجهزتهم الخاصة. المجلة الإلكترونية "تثقيف المجتمع المدني وهذا هو المقصود بالفعل من عبارة وسائل الإعلام الاجتماعية. إن أسهل طريقة للتذكر كيف تعمل وسائل الإعلام الرقمية هي النظر ببساطة إلى أصابعك العشرة. التكنولوجيا الرقمية تعيد وسائل الإعلام مرة أخرى إلى يديك[٣٨].

"لقد صُممت مبادرة المجتمع المدني لمساعدة المنظمات الصغيرة التي تعمل للصالح الاجتماعي من أجل زيادة قدراتها عن طريق استخدام تكنولوجيات التواصل. أما الهدف فهو إقامة شبكة طويلة الأمد، ذاتية الاستدامة من التكنولوجيات، والمتطوعين، ومناصري المجتمع المدني،

تكرس اهتمامها على تعزيز عمل المجتمع المدني في القرن الحادي والعشرين".

وبناء عليه، تنتمي الحرب النفسية والدعاية إلى الحقبة السابقة على انتشار التكنولوجيا الجديدة، وهي وان اشتركت مع الحرب الناعمة في الهدف لجهة استهداف تطويع إرادة العدو الدول والنظم والرأي العام والمنظمات والجماعات ولكنهما تختلف في الأساليب والوسائل.

في الأساليب ترتكز الحرب الناعمة على الإستمالة والإغواء والجذب وزرع الأمل وتقاسم القيم والأهداف والشعارات المشتركة مع الطرف الآخر

المستهدف، دون أن تظهر للعيان ودون أن تترك أي بصمات، أي تصدير الأمل وجاذبية النموذج، والوعود بحياة أفضل وفق أسلوب الحياة الأميركي والغربي, وتحكيم العقلانية والمعايير العقلانية، ونيل الحريات الفردية لأقصى الحدود، واطلاق الغرائز ونشر الإباحية الجنسية والتحرر الاجتماعي والفردي وامتلاك الأمل بالمستقبل.

في حين ترتكز الحرب النفسية والدعاية على إرغام العدو وتدمير إرادته وإرعابه وتخفيض مستوى معنوياته بصورة مباشرة وعلنية، أي فرض الإرادة وتصدير الخوف والأرعاب.

وتختلف الحرب النفسية عن الحرب الناعمة في كمية ونوعية الوسائل المستخدمة، حيث تعاظمت وتوسعت الأدوات الإعلامية والإتصالية لدى الرأي العام في الوقت الراهن، بحيث إن الوسائط والأدوات المستخدمة في الحرب الناعمة أصبحت في متناول الجميع بلا إستثناء ودخلت إلى كل البيوت ٢٤ / ٢٤ ساعة من خلال شاشات التلفزيون والإنترنت والهواتف الخليوية، بحيث غرقت الدول بالمقروءات والمسموعات والبصريات والأخبار والمنتجات الإعلامية بلا أي قيود رقابية في ظل عولمة إعلامية وثقافية ومعلوماتية فورية ومفتوحة ومتفاعلة ومترابطة بشكل لا سابق له وبأثمان وتكاليف مالية مجانية أو شبه مجانية.

في حين كانت الحرب النفسية والدعاية تعتمد على مخاطبة كتل منظمة ومتراصة ومتماسكة جيوش / حكومات / قيادات المنظمات ونخب الأحزاب / الرأي العام ككتلة ضخمة وعقل جمعي واحد، وليس كأفراد وشبكات كما يحصل اليوم. وكانت الحرب النفسية تعتمد أدوات عصرها

إذاعات وتلفزيونات حكومية قليلة جداً ومحدودة الإنتشار/ بضعة صحف حكومية وشبه حكومية / دور نشر وكتب ومنشورات تخضع للرقابة الحكومية - وتزخر وثائق القرن العشرين بأنشطة المخابرات البريطانية والأميركية في شراء دور النشر والكتاب والمثقفين- وكذلك الإذاعات التي كانت الأكثر انتشاراً، كإذاعة صوت أوروبا الحرة الموجهة نحو الجمهور الشيوعي في أوروبا الشرقية زمن الحرب الباردة.

أما مفردة الغزو الثقافي فهو مصطلح أطلقه أوائل التسعينات وتحديداً عام ١٩٩٢ ولغاية أوائل القرن ٢١ "الغزو الحضاري والثقافي التي تعني اغراق المجتمعات الإسلامية بأفكار وقيم وأنماط تفكير وعادات وسلوكيات أميركية وغربية لغاية ادخال تعديلات مؤثرة في هوية الكيان الثقافي الإسلامي بغية استبداله بهوية حضارية وثقافية زائفة لأجل مكاسب سياسية واستعمارية".

وبالأصل مصطلح الغزو الثقافي ينتمي تاريخياً وزمنياً إلى الجيل التكنولوجي الثالث السابق حيث كان صراع النخب الفكرية والثقافية يتم عبر المنابر الفكرية والكتب ودور النشر والمطبوعات والإذاعات الحكومية، وقد صاغه كتاب اليسار الشيوعي خلال فترة السبعينات خلال مواجهاتهم الفكرية والثقافية مع المعسكر الغربي.

وكخلاصة، يرتكز الغزو الثقافي على تصدير المحتوى الثقافي والأنماط الحضارية واللغات الأجنبية ونشرها في ساحات الآخرين لتحقيق وتسهيل الأهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية، في حين أن الحرب الناعمة أكثر تخطيطاً وتركيزاً، وتعتمد على الجيل التكنولوجي الرابع،

وأصبحت شكلاً حربياً قائمة بذاته، لدرجة أنها يمكن أن تشكل في حالات كثيرة بديلاً للحرب العسكرية (حالة إيران هي الأوضح في هذا المجال).

حادي عشر: الدبلوماسية الرقمية من أبرز أدوات الحرب الناعمة

ان الحديث عن القوة الناعمة والحرب الناعمة، يقودنا الى البحث عن أسس وأركان العقيدة السياسية الجديدة للخارجية الأميركية التي تتولى قيادة الحرب على ساحتنا.

وبناء عليه تم مراجعة مواقع وزارة الخارجية الأميركية بلغته الأصلية الإنكليزية والموقع المخصص لبرنامج الإعلام الخارجي يترجم النصوص والخطابات إلى العربية وقد وجدنا من خلال التدقيق أن مفردة التكنولوجيا دخلت في صلب البرامج السياسية حول العالم، وأصبح هناك عقيدة التكنولوجيا السياسية وفق تعبير بعض أعضاء لجنة تخطيط السياسات Techno – Political Age.

ومن بين هذه الإستراتيجيات الجديدة الدبلوماسية الرقمية Digital diplomacy والدبوماسية الإلكترونية E- diplomacy التي نظر لها أعضاء في لجنة تخطيط السياسات في الخارجية الأميركية أمثال أليك روس مستشار الإبتكار والمعلومات وجارد كوهين المدير السابق لقسم غوغل للأفكار google idea ومدير ملف المنظمات الشبابية وإريك شميدت المدير التنفيذي لشركة google ومستشار أوباما للشؤون التقنية، وتقوم استراتيجية الدبلوماسية الرقمية على بناء علاقات واتصالات مباشرة مع قطاع الشباب والناشطين وكافة فئات وشعوب العالم، خاصة في الشرق

الأوسط، بعيداً عن الدبلوماسية التقليدية الرسمية التي تمارسها السفارات والقنصليات التي يمكن تسميتها بالدبلوماسية الجغرافية والمكانية.

فالعالم الإفتراضي لشبكات الإنترنت والتكنولوجيات الجديدة يعتبر امتداداً فعالاً للواقع السياسي وفق غارد كوهين. وحيث أن ٦٠% من أبناء الشرق الأوسط هم من فئة الشباب، وبفعل نظرية التغيير الجيلي التي نظر لها هنتغتون في كتابه "النظام السياسي لمجتمعات متغيّرة" وما يصاحبها من تغيير وظيفي في الإطار السياسي والمؤسساتي ينبغي الإتصال بالقوى السياسية الشابة والجديدة من الناشطين والمدونيين والصحفيين والشباب، وإجتذاب ملايين المشتركين على شبكات الإنترنت في ايران وتركيا ومصر وتونس واليمن وليبيا ولبنان وسائر الدول العربية نحو المشروعات والأهداف والسياسات الأميركية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والتعرف على نخبة الناشطين، وإشراكهم في برامج تدريبية مقدمة لتوظيف هذه الطاقات لاحقاً عبر عملية تضخيم Amplifire تقني – سياسي للأصوات العربية المطالبة بالحرية والديموقراطية والتغيير السياسي بعد توجيهها نحو تحقيق الأهداف والسياسات الأميركية وفق الوصف الحرفي للمستشار التقني السياسي للخارجية الأميركية "إليك روس"[٤٠].

وقد شاهدنا كيف فعلت كاميرات الهواتف الخليوية التي بثت على أفلام اليوتيوب YouTube والفايسبوك فعلها في تحريك الشوراع العربية.

وهكذا، أصبح بإمكان الإدارة الأميركية من خلال شركات الإنترنت التحكم بواسطة برامج تقنية عالية لها أهداف سياسية بجهود وميول

وإتجاهات الشباب والناشطين وتحريكهم عن بعد، تماماً كما يحرك مشغل الكومبيوتر بواسطة الفآرة Mouse شريط الأدوات Menu bar في برمجيات الكومبيوتر.

والتشبيه ليس فيه تعدي على الحقيقة، فها هو إليك روس يقول عن شبكات الإنترنت أنها "تشي غيفارا القرن الحادي والعشرين"، وهي كلمة خطيرة تختصر الإستراتيجية التقنية – السياسية الجديدة للإدارة الأميركية. وتستبطن الإشارة إلى اهمية هذه الشبكات المستوى القيادي.

هذه الإستراتيجية كانت مادة للإنتقاد الحاد من طرف وزير خارجية أميركا الأشهـــر هنري كيسنجر عندما إنتقد الإعتماد المفرط على "القوى الإلكترونية" التي لم ولن تتمكن من إزاحة اللاعبيين التقليديين "الجيوش والإسلاميين" من اللعبة السياسية، مشبهاً الثورات العربية بأنها "لحظة إنترنت[٤١] والحديث عن ضعف التكنولوجيا السياسية أمام القوى الكلاسيكية المنظمة كالجماعات الإسلامية فيه شيء من الصحة كما سنرى لاحقاً، وهو يتطابق مع التحليل الصهيوني ١٠٠% ويتطابق مع إتجاهات "الإستشراق الغربي" في تحليل قضايا العالمين العربي والإسلامي، ويتوافق مع وجهة نظر القوى اليمينية في الإدارة الأميركية، التي ترى بمجموعها أن في "الإسلام" طاقة ثقافية متجذرة في الحياة السياسية الإسلامية لا يمكن صهر عناصرها بالكامل تحت تأثير أمواج التكنولوجيا السياسية الغربية كما هو واقع الحال مع بقية دول ومناطق العالم"

ونموذج نشر وثائق ويكيليكس التي بدأ نشرها من تونس في شهر كانون الأول من عام ٢٠١٠ وسبقت إندلاع الاحتجاجات العربية بإسبوع

واحد إحدى هذه الوسائل الرقمية الذكية، وهي مقال على عمليات التضخيم التقني السياسي Amplifire.

وبناء عليه، يفهم قول جوزيف ناي قائلاً "إن وثائق ويكيليكس رغم انها وثائق حكومية مسروقة تشكل إحدى مظاهر القوة الأميركية الناعمة".

وسبب هوس مستشاري هيلاري كلينتون وباراك أوباما بالدبلوماسية الرقمية، هو النجاح الذي لاقاه هؤلاء المستشارون خلال تنظيمهم حملة أوباما الإنتخابية العام ٢٠٠٨، فقد أكد خبراء الحملات الإنتخابية ان شركات الإنترنت ووسائل الإعلام كانت العامل الأبرز خلف نجاح أوباما، وهو ما شجعهم على وضع إستراتيجيات الدبلوماسية الرقمية في مشاريع وزارة الخارجية الأميركية في عهد أوباما.

ثاني عشر: أركان الحرب الناعمة / خطة وقيادة وفرصة وحملة منسقة

إن تنفيذ وظائف الحرب الناعمة ذات الطبيعة الحساسة والمعقدة، ووضعها موضع التطبيق يتطلب مواردا وطاقات وجهوداً بشرية كبيرة، وتخطيطاً وتحليلاً سياسياً لتوجيه الأحداث، ومراكز للإبحاث، وأجهزة استخبارات توفر المعلومات والمعطيات، وامكانات تكنولوجية وإتصالية وإعلامية ضخمة، ومهارات وخبرات، وصبر إستراتيجي ونفس طويل، وغرفة عمليات تتولى التنسيق.

وقد أوضحها صاحب مقولة القوة الناعمة "ان القوة الناعمة تقوم على عرض السياسات في سياقها الدولي، وتحقيق الإتصال الإستراتيجي

عن طريق تطوير مجموعة مواضيع تشبه الحملات الإعلانية والإعلامية والإنتخابية، وبناء شبكة علاقات مع شخصيات أساسية في البيئة المستهدفة (مفاتيح)، وفرصة ملائمة"

وبناء عليه، تتطلب الحرب الناعمة:

- بسط موارد القوة الناعمة في الساحة المستهدفة جامعات/ مشاريع تنموية/ علاقات عامة / مراكز أبحاث/ ومنظمات مجتمع مدني / وسائل إعلام واتصال/ الخ.
- تجهيز مواد ومواضيع ورسائل وأفكار وشعارات سياسية وإعلامية وثقافية ودبلوماسية تتلائم مع البيئة المستهدفة البيئة السياسية اللبنانية وبيئة حزب الله أو البيئة السياسية الإيرانية مثلاً.
- بناء شبكة علاقات عامة ووسطاء للقيام بوظيفة تسويق وترويج الأفكار والأخبار والتحليلات والتوجيهات السياسية والثقافية والإعلامية نموذج شخصات شيعة السفارة الأميركية التي نشرتها جريدة الأخبار اللبنانية.
- دراسات واستطلاعات ومعطيات حول البيئة السياسية المستهدفة ومدى جاهزية الجمهـور والنخبة لتلقي مضمون المواد والرسائل الناعمة.
- غرفة عمليات موحدة وقيادة عليا رفيعة المستوى لتنسيق الأنشطة والإتصالات وتوزيع الأدوار والشعارات وفقاً لتخطيط عالي المستوى.

فالقوة الناعمة تعتمد على تجهيز المواد والمواضيع والشعارات وفق معادلة قوامها "من يتواصل مع من وتحت أي ظرف"٤٤ و"من هي الرواية الفائزة بنظر الجمهور والرأي العام، لأن المنتصر في الحرب اليوم هو من تفوز روايته للأحداث"٤٥.

وهذا ما نراه اليوم بقوة في أيام ثورات "الربيع العربي"، حيث يندر أن يأتي يوم لا نسمع فيه كلاماً عن الشرعية ونزع الشرعية عن هذا النظام وذاك الرئيس، والرواية الرسمية الفلانية ورواية المعارضة المقابلة، وهذا جانب من جوانب الحرب الناعمة.

وقضية الظرف التي تحدث عنها جوزيف ناي هي جوهر الحرب الناعمة، وتحتاج موارد القوة الناعمة كي تتحول الى عملية مؤثرة في البيئة السياسية للخصم الى سياق ومناسبة خاصة ولحظة درامية حسب تعبير بعض الخبراء.

ويقصد بالظرف الملائم قابلية الأحداث الجارية لصناعة الفرصة الذهبية لتوظيف الموارد الناعمة، من مثل وقوع عمليات إغتيال لشخصيات سياسية أو قتل لمواطنين أثناء الإحتجاجات والتظاهرات لأجل إراقة الدماء وإشعال الحماسة وخلق الحساسيات والقصص الإنسانية المثيرة، ومثل إرتكاب أعمال شغب وحرق وتكسير ممتلكات وبث الإضطرابات والفوضى، أو إطلاق أحد الفاعلين موقف طائفي أو سياسي أو فكري شاذ يحدث عمليات تبادل إتهامات وتشهير وتلطيخ سمعة بين مجموعتين متنازعتين، وغيرها من الأحداث القابلة للتوظيف.

وإذا لم تتوفر هذه الفرصة وكان هناك قرار من الإدارة الأميركية بصناعتها توكل المهمة لـ CIA وهي وكالة بارعة في فبركة وصناعة الأحداث ابتداءاً من الإغتيالات الى فرق القناصة لقتل المتظاهرين والتفجيرات عن طريق الاختراق الاستخباراتي للأطراف الأخرى تنظيم القاعدة والمنظمات التكفيرية مثلاً.

كما أن نوعية الطرف الذي يتولى عمليات الحرب الناعمة مهم جداً، فينبغي تجنب التورط الأميركي المباشر، وتمرير الرسائل بطريقة غير مباشرة لأن حساسية الجمهور اتجاهه أكبر[٤٦].

لهذا نرى منظر الحرب الناعمة يركز كثيراً على ضرورة العمل عبر الوكلاء، فهي اشد فاعلية من مباشرة التأثير العلني، وهذا جزء من الطبيعة المخادعة والماكرة للحرب الناعمة لأن "أفضل الناطقين بإسم الأفكار والأهداف الأميركية هم غير الإميركيين أي الوكلاء المحليون وهناك مثال ممتاز على هذا الأمر هو ما يحصل بين لوس انجلس وطهران، حيث يذيع المهاجرون الإيرانيون برنامجاً تلفزيونياً موجهاً الى الرأي العام الايراني لأجل الإصلاح السياسي، وفي قضايا الشرق الأوسط يجب تفعيل علاقات أميركا مع قناتي الجزيرة والعربية[٤٧]".

ولو كان بالإمكان الإستفادة من صوت معارض يلبس اللباس الوطني والقومي والديني في إيران ويشتم النظام ويفند ولاية الفقيه وينكر إنجازات النظام الاسلامي فالترويج له أفعل من قيام اي مسؤول اميركي بهذه المهمة.

وإذا كانت القناة التي تبث الدعاية المعادية هي قناة لها غطاء إيراني أو عربي أو إسلامي فهذا أهم بأضعاف مضاعفة من أن يقوم بهذا الدور قناة أمريكية، ويمكن لمن يريد إكتشاف خبث هذه السياسة مراجعة وملاحظة الفرق في تأثير القنوات التي تروج للسياسات الأمريكية بصورة مباشرة ورسمية كقناة الحرة الأمريكية والقنوات التي تعمل بغطاء عربي وإسلامي كقناتي الجزيرة والعربية !.

وتحتاج الحرب الناعمة الى عملية تنظيمية معقدة، لإدارة وتركيز وتنظيم الحملات ولأجل إختيار التوقيت وتنسيق الجهود وفق الظرف الملائم الذي تحدثنا عنه، وهذا يحتاج الى قيادة وغرفة عمليات موحدة تتولى منع تضارب السياسات والتحركات والتنسيق بين مختلف الأنشطة والأذرع التي تتولى تنفيذ هذه العمليات[٤٨].

كما أن الحرب الناعمة تعتمد على رفع شعارات ومطالب الناس وإستغلالها، فلا يمكن للحرب الناعمة أن تنجح إذا ما رفعت شعارات وتبنت سياسات معادية بالظاهر للمصالح الايرانية او الإسلامية او اللبنانية او السورية، فالقوة الناعمة بالعمق تقوم على رفع شعارات وقضايا مرغوبة ومحبوبة والبحث عن قيم مشتركة مع الطرف المستهدف مثل الديمقراطية / حقوق الانسان / السلام / الحريات / الفرص / الإزدهار / الإستقرار / الخ وهذا ما أكده جوزيف ناي بقوله الخطير "لا يمكن لأية حملة تواصل استراتيجي مهما كبرت وتوسعت ولا لأية قوة ناعمة ان تؤثر وهي تروج شعارات ومطالب غير مرغوب بها شعبيا في ساحة الخصم[٤٩]".

هذه هي أهم أركان نجاح عمليات الحرب الناعمة كما حددها جوزيف

ناي ومايكل آيزنشتات وغيرهم من الخبراء.

وتأدية الوظائف التي ذكرناها سابقا يحتاج إلى "بناء حملات قد تستغرق اعواماً وسنوات، وليس مجرد اياماً أو أشهراً – فتكتيكات وأساليب الإتصال الإستراتيجي غير المباشر أي بواسطة الوسائل الإعلامية والإلكترونية والدبلوماسية والخفية للتأثير في جدول الاعمال السياسي لبلد آخر تحتاج الى تطوير مجموعة من المواضيع والشعارات على طريقة الحملات الاعلانية والانتخابية والسياسية في الغرب، ويستلزم ذلك تخطيطاً وأحداثاً رمزية وظرفية ومد اتصالات وبناء علاقات على مدى سنوات – لا تقل عن سنة – كي نتمكن من إبراز هذه الشعارات والمواضيع المركزية والدفع بالسياسة المطلوبة – من قبل أميركا – قدماً إلى الأمام"[٥٠].

وبعد تشكيل التصورات العامة والبيئة السياسية في ساحة الخصم يتهيأ المسرح للكثير من الأحداث والأعمال والاجراءات اللاحقة من قبل الوكالات الأمنية والإستخباراتية والعسكرية والسياسية، وتبدأ النتائج بالظهور عادة خلال المناسبات المؤثرة كالإستحقاقات الإنتخابية مثلاً حيث نشهد إنعكاسات هذه التأثيرات والعمليات، لأن العدو لن يجد أفضل منها فرصة لإستغلالها والنفوذ من خلالها لتحريك عملائه وقواعده وسياساته، فالمبدأ الذي تعمل عليها فلسفة الحرب الناعمة هي القدرة على إجتذاب الناس نحو البيئة والسياق والفخ السياسي المستهدف في إطار وغلاف وظرف ملائم كالإنتخابات أو تحت شعار مطلبي او إصلاحي، وهذا أسهل من ارغام الناس على تنفيذ التوجيهات المباشرة بصورة وصريحة وكخلاصة "ادارة دفة الأحداث بأسلوب ناعم بدون أي بصمات"[٥١].

وقد أفصح مؤخراً عن هذه المنهجية وزير الدفاع والمدير السابق لوكالة الإستخبارات الأميركية ليون باتيتا في مقابلة تلفزيونية مجيباً عن سؤال حول سبل دعم أميركا للمعارضة والثورة الخضراء في إيران قائلاً "ينبغي ان نحاول اتخاذ كل خطوة ممكنة لدعم جهود المعارضة الإيرانية، لكن في الوقت نفسه علينا ان نحلل كل موقف للتأكد من أننا لا نفعل شيئا يثير ردود افعال سلبية لئلا تقوض تلك الجهود".

الحرب الناعمة ترفع شعارات ودعايات محقة بالظاهر ولكنها باطلة في الباطن وتخلط الحق بالباطل، وللآسف فإن البعض يكرر دعايات وشائعات العدو عن قصد أو عن جهل

ثالث عشر: استراتيجيات وتكتيكات الحرب الناعمة[٥٤]:

كما بينا، الحرب الناعمة كأية حرب لها إستراتيجياتها وتكتيكاتها وأسلحتها، بمعنى أنها ليست حالة صراع ثقافي أو حضاري وفق القواعد المتعارفة، بل هي حرب مخططة، وبطبيعة الحال من أبرز سمات الحرب "سرية المخططات والأدوات"، ولن يكشف العدو أهدافه وخططه وأدواته إلا بعد مرور عقود على إنجاز الأهداف، ما لم يحصل تسريب عن طريق الخطأ.

لكننا حاولنا وفق منطق الإستقراء جمع المعطيات المتناثرة، وفق ما أوردته بعض المؤسسات والشخصيات الأميركية الرسمية، ونقلناها لأجل الدقة بصورة حرفية أو شبه حرفية كما وردت في الوثائق والمستندات

أـ نماذج من استراتيجيات الحرب الناعمة

١ــ ضرب وإضعاف الموارد الناعمة للعدو المستهدف، عن طريق التشكيك المتواصل بشرعيته السياسية ومصادر قوته لتحقيق الإرهاق والإرباك وخلخلة الأركان.

٢ــ التشهير الإعلامي المتواصل لتشويه صورة الطرف المستهدف وتفكيك رموزه، ووضعه في دائرة الإتهام الدائم تشويه صورة الأمين العام لحزب الله / اتهام المجاهدين والطعن بمستواهم الثقافي والإجتماعي/ اتهام حزب الله بتلقي التمويل من شكبات المافيا والمخدرات وغسيل الأموال / التشكيك برمزية سلاح المقاومة والشهداء/ / الخ).

٣ــ تقديم الدعم العلني لتيار أو فئـــة على حساب تيار أو فئة آخرى في نفس الساحة المستهدفة، بهدف خلق بيئة من الإتهامات المتبادلة وايجاد فرز واستقطاب يسمح بالدخول على الخط للتلاعب بجدول الأعمال السياسي للهدف.

٤ــ استغلال نقاط الضعف في بعض الشخصيات القيادية في جبهة الخصم لخلق توترات وحساسيات وعداوات مع الشخصيات المنافسة وتسعير حمى الصراع على المواقع عبر تسريب الإشاعات والأخبار وتضخيم صورة الشخصيات وخاصة المعارضة وصناعة نجوميتها الإعلامية والجماهيرية.

٥ــ صناعة بيئة سياسية وثقافية وشعبية وإعلامية متوترة من خلال التشكيك والجدل والمناقشة في قضايا وموضوعات فكرية وسياسية حساسة تؤدي الى إحداث تناقضات وحساسيات بين الفصائل والأجنحة المختلفة في

إيران مثلاً النقاش حول جدوى العداء لأميركا والغرب في الوقت الذي تمد أميركا يدها لإيران، وجدوى دعم المقاومة في لبنان وفلسطين في وتحمل أثمان هذا الدعم,

٦ــ استدراج الهدف إلى الملفات السياسة الداخلية والدولية المعقدة، بما يؤدي إلى توريطه بأزمات سياسية مع غيره من التيارات والحكومات، واغراقه بالتنازلات، وإبعاده عن هدفه المركزي في مواجهة أميركا والغرب والصهيونية، وصولاً لإثبات فشل الحركات والقوى الإسلامية في تلبية الإحتياجات والمتطلبات الدولية والسياسية المعاصرة[٥٧].

٧ــ ضرب وتشويه صورة علماء الدين والمؤسسات الدينية بهدف تقليص دورهم ولأجل العمل على ادخال اصلاحات وتعديلات على المناهج الدينية.

٨ــ تعديل وظيفة المساجد وكل مؤسسات ومنابع ومصادر "الصدق والحقيقة" وتحويلها من قواعد دعم للصحوة الإسلامية الى قواعد لبث الإسلام المعتدل من وجهة نظر أميركا والغرب.

٩ــ إبراز مخالفة النظم والحركات الاسلامية لمواثيق ومقررات الإمم المتحدة ومنظومات الأمن والسلام الدوليين ومقتضيات حقوق الانسان وقيم التسامح الديني وتبنيها للعنف والإرهاب كمنهج وإستراتيجية.

١٠ــ دعم وصناعة تيار الإسلام المدني المعتدل، وإيجاد شبكة إسلامية دولية مرتبطة بأميركا والغرب، وتعمل وفق معاييره وضوابطه، من مثل دعم شبكة فتح الله غولين الداعية الإسلامي التركي خاصة أن مقره

يقع في ولاية بنسلفانيا[٥٨].

١١ــ تقليص الوجود العسكري وزيادة الاستثمار في المجال الثقافي والمدني والإعلامي والتنموي والإقتصادي والإستخباراتي في العالمين العربي والإسلامي.

١٢ــ بث وترويج ثقافة سياسية أميركية المجتمع المدني / المنظمات غير الحكومية / مراقبة الانتخابات / الشرعية السياسية / رفع شعار تمكين المرأة / الحريات / ثقافة النضال السلمي واللاعنف / الخ.

ب- نماذج عن تكتيكات الحرب الناعمة

١ــ تنويع مصادر البث التلفزيوني والإعلامي والشبكي شبكات وبرامج الإنترنت، ودعم المنظمات غير الحكومية الناشطة في الميادين الاجتماعية والمطلبية والسياسية، والمنظمات الناشطة على شبكات الإنترنت، حيث تقل إمكانيات الرقابة الحكومية، ويسهل إستدراج جيل الشباب، وهذا ما فصله جارد كوهين رئيس قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الاميركية باستراتيجية "الديمقراطية الرقمية" قائلاً "أصبح الشباب في الشرق الأوسط ناضجين لتقبل تأثيرات السياسات والأفكار الأميركية من خلال بوابات ومنافذ تكنولوجيا وأدوات الإتصال والإعلام والمعلومات المفتوحة"[٦٠].

٢ــ زيادة مصداقية الحملات الإعلامية على محورنا من خلال البحث عن شخصيات محلية لها نوع من التغطية والمصداقية الجماهيرية خاصة من المعارضين والمنشقين عن النظم والحركات الإسلامية.

٣ــ إنشاء ودعم جمعيات ومؤسسات مدنية وشبابية ونسائية وثقافية في مناطق وساحة عمل محور المقاومة تحت شعار قوى منظمات وقوى "المجتمع المدني" بهدف إضعاف وتفكيك قوة وشرعية محور المقاومة، وإيجاد البدائل لها على المدى البعيد، بموجب قانون أميركي يدعم "المنظمات الديمقراطية والشبابية".

٤ــ تركيز الضوء الإعلامي على الشخصيات والجماعات الإسلامية المتطرفة بهدف بث التفرقة وإشغال المذاهب والفرق الإسلامية ببعضها (والحركات التكفيرية المنتشرة اليوم كداعش وأشباهها نموذج واضح لهذا التكتيك)، وكل الأدلة تؤكد أن خيوط اللعبة التكفيرية تدار من واشنطن عبر أذرع حلفائها في الخليج وفق ما أثبته المصادر الغربية والمصادر الإسلامية[٦١].

٦ــ تدريب مجموعات من الناشطين للتحرك على شبكة الإنترنت بهدف رفد القنوات الإعلامية العالمية بالمادة المطلوبة – للتشهير والتشويه – وقد صدر قانون الكونغرس الأميركي لتقديم الدعم "لضحايا الرقابة على شبكات الإنترنت"

٧ــ تقديم المنح الدراسية لإجتذاب الشباب المسلم نحو المال والأعمال والتخصصات العلمية لأجل بناء كادرات متأمركة مفيدة في المستقبل.

٩ــ زيادة برامج تدريب الضباط والعلاقات الثنائية مع قادة الجيوش الإسلامية.

١٠ــ تفعيل شبكة العلاقات مع أبناء الجاليات المسلمة والمغتربين المسلمين المقيمين في الغرب بهدف إشراكهم في برامج ناعمة.

١١ــ تمويل منظمات المجتمع المدني وتدريب الناشطين في المنظمات الأهلية.

١٢ــ توسيع نشاط الجامعات الأميركية وتفعيل برامجها الناعمة.

١٣ــ تمويل مشاريع تنموية واقتصادية صحية وتعليمية وبيئية/ ألخ للنفوذ الى الساحات المستهدفة عن طريق وكالات الأمم المتحدة أو بعض الواجهات الإنسانية الأخرى (وكالة التنمية الدولية الأميركية USAID تعمل في الضاحية الجنوبية والبقاع والجنوب من خلال جمعيات محلية مستعارة).

رابع عشر: أبحاث النفس والدماغ تدخل ميدان الحرب الناعمة

تعتبر الإستخبارات الأمريكية CIA ووزارة الدفاع البنتاغون أول من بدأ برعاية أبحاث ومحاولات للسيطرة على الدماغ والعقل البشري والادراك الحسي من خلال تطوير وسائل وتقنيات مادية كيمياوية / إلكترونية / كهرمغناطيسية /... بهدف تجنيده وتوجيهه وضبط سلوكه وفقا للأجندات والمشاريع والأهداف الأميركية.

بدأت التجربة عن طريق عمليات نفسية وحسية لبرمجة وعي وسلوك المجندين والعملاء والجواسيس الذين يعملون مع وكالة CIA، ومن ثم حصلت عمليات على أسرى العدو أثناء إجراء التحقيقات بهدف انتزاع

المعلومات، رغبة في تحويلهم إلى عملاء مزدوجين ولضمان أعلى درجات الثقة بهم الكوريين والكوبيين وغيرهم.

وتواصلت المحاولات مستعينة بأمهر الأطباء وعلماء النفس، وشارك فيها أكثر من ٤٤ جامعة و١٢ مؤسسة استشفائية وطبية، وبقيت طي الكتمان حتى عام ١٩٧٧ حين كشفت عنها صحيفة النيويورك تايمز على غلاف صفحتها الأولى تحت عنوان صادم "CIA تسعى لأسر واستعباد العقل البشري"، وقد أثارت هذه القضية أنذاك ضجة كبيرة في الاوساط الاميركية والعالمية، وقد عطلت مجموعة عوامل سير هذه الابحاث، ومنها كلفتها المالية والبشرية العالية وعدم ضمان وموثوقية نتائجها، والمعارضة الشديدة التي واجهتها بعد انكشاف أمرها [٦٢])، فانتقلت هذه المحاولات نحو البحث في حقول التاثير والبرمجة بالوسائل النفسية وما فوق النفسية البارابسيكولوجي عبر استغلال آخر ما توصلت اليه أبحاث الدماغ وتسخير أدوات الجيل الرابع من وسائل الإتصال والإعلام والمعلومات..

وفي العام ١٩٩٥ أجرت وزارة الدفاع الأميركية البنتاغون ابحاثاً على الفص الأيمن من الدماغ حيث توجد القشرة المتكونة حديثاً Neocortical التي يمكن تشبيهها بمنظومة إعلامية تستقبل المؤثرات الخارجية, وتساهم في إحداث تأثيرات عميقة في العقد العصبونية Neural Nodes للعقل البشري

وتطورات الأبحاث من مستوى الفرضيات الى مستوى النظريات التي تؤكد وجود تأثيرات حقيقية على المشاهد للتكنولوجيا من خلال حلقات رباعية مترابطة يرمز إليها بـ OODA والتي تلخص أربع آليات

يمارسها الذهن البشري وفق الآتي:

١ـ مراقبةObserve ٢ـ توجيه Orient ٣ـ قرار Decide ٤ـ فعل Act.

وتعمل وسائل الإعلام والتواصل على إحداث الخلل والإضطراب في آلية عمل تلك الحلقات بهدف إحداث التأخير في نمطه عملها الدوري.

وقدمت دراسات وأبحاث اعتمدت أحدث انجازات المدرسة السلوكية الأميركية التي ترتكز على عقيدة تقول "ان صناعة بيئة محددة تحمل منظومة من القيم سيعطي نتائج محددة من السلوكيات" تلك البيئة يتم صناعتها بمساعدة علوم البرمجيات اللغوية وعلوم أعصاب الدماغ والبارابسيكولوجي ونشرها عبر منجزات تكنولوجيا الإعلام والإتصال التي بلغت ذروتها في العقدين الأخيرين[٦٤].

وقد توسعت الأبحاث من التفكير في إرباك وبرمجة عقل شخص أو مجموعة أشخاص إلى مستوى برمجة وتضليل وتوجيه سلوك رأي عام وعقل جماعي وعقل نظام سياسي، وشعب كامل، وكذلك إستهداف جيوش ودول وأحزب ومنظمات...

واستعيرت للغاية بعض التقنيات والوسائل التي كانت تعتمد في الإستجوابات العسكرية وفي الحرب الصلبة وفق عقيدة الصدمة والترهيب المتغلغل في العقل الأميركي لتمتد تأثيراته إلى التطبيقات السياسية والإقتصادية والإعلامية والثقافية، وجرى تطبيقها في برامج الحرب الناعمة

فكما يؤخذ الشخص الخاضع وفق تقنية الإستجوابات العسكرية عبر مهاجمته بألوان وأصناف المؤثرات والصدمات والتهديدات الحسية والصلبة وكذلك ألوان وأصناف المؤثرات والإغراءات والإغواءات لـ "شل جهازه الفكري وتحطيم معنوياته والمس بمعتقداته الإيمانية والدينية وتشتيت قدرته على التركيز والوعي وسلبه لإرداته" كما جاء حرفياً في وثيقة كراس الإستجوابات لدى [CIA].

ويتم الأمر وفق جرعات تتناسب مع مراحل وحاجات التحقيق للسيطرة على وعي المستجوب وإرداته لكي يستسلم للمحققين ويدلي بكل ما يريدون....

فان الشيء نفسه يحدث في حالة القوة الناعمة من خلال السعي للسيطرة على حالة جماهيرية أو شعبية عامة سواء كانت دولة او حزب، عبر أسرها وأخذها رهينة ومهاجمتها بكل الوسائل بغية العبث بوظيفتها الطبيعية وتوجيهها نحو السلوك المستهدف، فيتم توجيه مجموعة من المؤثرات المتناسبة مع مقتضى الحال وظيفتها الفعلية إزالة ومحو وتنظيف المكونات الذهنية والنفسية السابقة للفرد أو الجماعة والبدء بعملية القيادة النفسية والفكرية عبر التلاعب بالمشاعر العامة وتضليل العقل الجمعي وتدمير وجرثمة – من مصدر مفردة جرثومة – الروح الجمعية العامة، خاصة أن التقنيات الموظفة حالياً معقدة وماكرة لدرجة لا تصدق، فهي "قادرة على دحر كل الدفاعات والموانع الطبيعية للإنسان" وفق تعبير الباحث ويلسون براين صاحب كتاب "خفايا الإستغلال الجنسي في وسائل الإعلام

خامس عشر: الحرب الناعمة والمدرسة الأميركية في البرمجة السلوكية

تعني عملية برمجة الوعي في مضمونها التقني كجزء من الحرب الناعمة "التأثير والتلاعب بالوعي بهدف السيطرة عليه والتحكم بتصرفاته وسلوكياته ومواقفه وتوجيهه نحو أفكار ونماذج وسلوكيات جديدة، وعلى أقل التقادير إحداث نوع من الإضطراب النفسي وبلبلة الأفكار المفضية إلى حالة من التقاعس والتشوش والإضطراب النفسي والسلوكي، لأن خلق بيئة فكرية ونفسية مضطربة للأفراد والجماهير شرط لازم لتحضير الأرضية الضرورية لتقبل النماذج والسلوكيات المصممة مسبقاً طبقاً للمدرسة السلوكية التي تشكل جوهر العقل الأميركي"[٦٨].

وكي تحدث هذه البرمجة يجب تعريض الجمهور لمواد ومعطيات ومواضيع ومعلومات مركزة على جمهورمحدد أصبح يعتمد بشكل شبه كلي في تواصله وتلقيه المعرفي والثقافي والترفيهي وحتى الإجتماعي على وسائل الإتصال والإعلام خاصة التلفزيون والإنترنت، ولا يحتاج الأمر لكثرة استدلال، يكفي ان نشير إلى إحصاء علمي كشف أن الجمهور يتعرض لوسائل الإعلام بمعدل ٣- ٤ ساعات يومياً، أي ما يوزاي ١٠٠٠ ساعة سنوياً، مقابل ٨٠٠ ساعة تعليم يتعرض لها التلامذة والطلاب في المدارس والجامعات.

ويؤدي هذا التعرض المشاهدة او الإستماع او التصفح أو القراءة إلى حدوث أثار ومضاعفات هائلة في صوغ وتشويش الأذهان وتوجيه ميولها النفسية والجمالية والإستهلاكية.

لكن يبقى الأخطر برمجة الوعي الثقافي والديني والسياسي، خاصة لدى الشرائح الرخوة الأكثر تعرضاً للتأثير الأطفال والمراهقين والشباب.

وتؤكد بعض الدراسات والأبحاث العلمية أن ٨٠ % من مصادر التلقي المعرفي والثقافي لدى الإنسان تعود في منابعها ومصادرها لعناصر حسية بصرية وسمعية[٦٩] وتشارك هذه المعطيات الحسية المختزنة عبر تفاعلها في الذاكرة وفي عمليات صناعة المعرفة الذاتية عبر الوعي واللاوعي في ٢٠% الباقية، وهذا ما يؤكد لنا أن الجهاز المعرفي والإدراكي للإنسان هو جهاز حسي بنسبته الغالبة، وربطاً بذلك فإن الجهاز العصبي الذي ينفذ أوامر الجهاز الإدراكي ينفعل ويتفاعل مع المعطيات والمواد الحسية أشد الإنفعال ويترك بصماته الفيزيولوجية والبيولوجية على الدماغ.

وإذا ذهبنا نحو المزيد من التشريح الدقيق ودائما بحسب الأرقام والأبحاث العلمية نشير إلى ان العقل والدماغ البشري يستقبل المعطيات والمواد والرسائل الإعلامية عن طريق وسائل الإتصال والإعلام المختلفة تلفزيون / اذاعة / فضائيات / صحف ومطبوعات ومجلات / مواقع انترنت / اعلانات / أجهزة الإتصال الخليوية / الخ بمعدل يصل لمليوني جزئية Beta في الثانية الواحدة، يدخل منها إلى الوعي نسبة قليلة جداً قد تقل عن ١٠% في حين يذهب القسم الباقي ٩٠% إلى اللاوعي محدثاً آثاره

البطيئة عبر عمليات التأثير وآليات الإتصال والتفاعل بين اللاوعي والوعي في أروقة وعوالم العقل الباطن.

وكما هو معروف فان اللاوعي نظام تخزيني وترميزي هائل في الذاكرة، ومن الناحية التقنية تحصل عمليات التفريغ والإستبدال لمعطيات ومكونات الوعي بما يشبه تقنية الإثقال البصري المعروفة والتي تقوم على تحميل الوعي كمية مواد بصرية وسمعية أكثر من قدرته على التحمل، فتحدث عملية الإفاضة، فيدفعها ويصدرها بالضرورة إلى اللاوعي مضخماً إياه بأجزاء ونتف من المعلومات والصور والأفكار والآراء التي لم يجر معالجتها وتصنيفها وتصريفها بحكمة ورشد ووعي.

وكلما امتلأ العقل الباطن بها زادت نسبة تشوش الجهاز الفكري والنفسي للفرد، فالعقل الباطن والعقل الظاهر يتعاكسان في الطبيعة، وكلما اشتدت فعالية احدهما ضعفت فعالية الآخر، وهذا ما يؤدي في النهاية إلى عدم الإنسجام والتوازن بل قد يحدث الصراع بين العقل الباطن والعقل الظاهر، فينتج عنه سلوكيات مزدوجة كالنفاق والرياء والتناقض بين الأقوال والأفعال[٧٠]، الأمر الذي يشاهده بالعيان في سلوك أغلبية الناس هذه الأيام، حيث اللايقين واللامبالاة اتجاه قضايا مقدسة، وأمواج من الضياع والتيه والتشتت الفكري والروحي والنفسي والتفسخ القيمي والإجتماعي وتبرير وتقبل الباطل بسهولة منقطعة النظير.

واستطراداً، فلوا افترضنا أننا قمنا بعملية برمجة إعلامية مضادة وبذلنا المساعي لإعادة الناس إلى جادة الصواب، يصبح من الصعب محو

المعطيات والمواد المغلوطة والمزورة التي دخلت إلى الدماغ والعقل البشري.

ولو افترضنا ان جماعة تعرضت لضخ اعلامي سلبي في قضية ما، ليس من السهولة ان تخرج منه دون مضاعفات سلبية، هذا اذا قطعت الخطوات المطلوبة وتابت وعادت إلى رشدها.

ولهذا، العقل الإنساني لا يستطيع محو أثار المعطيات المختزنة دون ان تترك بصماتها وتشوشاتها السلبية، وقد يستطيع استقبال وإضافة معلومات صحيحة وجديدة وضمها الى المعلومات المغلوطة القديمة، ولكن التفاعل والتسرب سيحصل بين اللاوعي والوعي حتماً، ولو بصورة لا إرادية، ومهما حاول الإنسان ضبط وعيه وشعوره فان دوائر اللاوعي واللاشعور ستطلق بالحد الأدنى محفزات وإيحاءات ذاتية يصعب التفلت منها، ولو في حالات الإسترخاء والنوم وعالم الأحلام، وهذا التحول يحدث بأسلوب تدريجي – جرعة بعد جرعة – في غضون أسابيع وأشهر وليس في ساعات أو ثواني.

في هذه الحالة يمارس الوعي اتجاهها عملية ذهنية تلقائية، فيختار القبول أو الرفض، فاذا قبلها دخلت وفق عملية تسمى بالإرساء حسب مصطلحات علم البرمجة اللغوية والعصبية وركزت في الوعي واصبحت معتقداً وقناعة لديه، وإذا رفضها ذهبت إلى اللاوعي مطلقة فيه محفزات ووسوسات لا واعية ولا شعورية.

وبالطبع ليس كل الناس على درجة واحدة من التأثر والتفاعل، فكلما

كان الشخص واعياً متبصراً يقظاً كلما طرد هذه السلبيات ومنعها أن تمارس الإرساء والإرتكاز.

ومن هنا الخطورة على الفئات الرخوة الأطفال / الشباب / غير المتعلمين الأقل تبصراً، فهؤلاء كالأوراق البيضاء التي يمكن أن يكتب على صفحاتها كل شيء.

ومن هنا خطورة الإدمان والتعرض السلبي لأدوات القوة الناعمة، فالتكـــرار والتوكيد يصنعان التصورات والمعتقدات خاصة اذا ما شحنا بجرعات عاطفية ومؤثرات بصرية ايحائية كما يقول الباحث الشهير غوستاف لوبون صاحب كتاب سيكولوجيا الجماهير.

الإشكالية الجديدة

للجغرافيا السياسية والثورات العربية

١- مفهوم الجغرافيا السياسية :

الجغرافيا السياسية فرع من فروع العلوم الجغرافية يتضح مفهومها من خلال العلاقات التي تطرحها بالعلوم الأخرى. فهي من الموضوعات المعقدة و الشائكة في مجموعة العلوم الجغرافية. و تتجلى تعقيدات الجغرافيا السياسية من خلال ربطها بين العوامل السياسية (التحولات في السياسة المحلية و الإقليمية و العالمية) و العوامل الطبيعية (تغيرات المناخ ، إشكاليات التنمية المستديمة ، المخاطر الطبيعية كالفيضانات و الجفاف و التصحر و تساقط الثلوج) و العوامل الإقتصادية (الفقر ، البطالة ، قضايا التنمية و التصنيع ، أوضاع البورصة المحلية و العالمية ، العلاقات التجارية بين الدول

و لكن لا يمكن الخلط هنا بين الجغرافيا السياسية كعلم و بين علم السياسة بالرغم من القاسم المشترك بينهما و المتمثل في الاهتمام بالشأن السياسي : فالدولة في الجغرافيا السياسية هي مجموعة من العلاقات التي تربط بين ثالوث الأرض و الشعب و السلطة ، حيث تتجلى قوة الدولة أو ضعفها من خلال سلامة أو عدم سلامة تركيبتها ، و هنا تتحدد الحدود بمعنى حدود الدولة الجغرافية . و هكذا تكون الجغرافيا السياسية علم يدرس و يحلل شبكة العلاقات بين الظروف الجغرافية المختلفة (الطبيعية و

البشرية و الاقتصادية و السياسية) داخل الدولة و ربطها بالظروف العالمية في حين أن علم السياسة يدرس التناسق بين الدول و الأنظمة السياسية في علاقاتها المتبادلة.

من خصوصيات العلم « الموضوعية » و علم الجغرافيا السياسية و علم السياسة يفتقدان لهذه الخصوصية أو تبقى مسألة الموضوعية في هذه العلوم مسألة نسبية ، باعتبار أن السياسة تنبني على التعصب لفكرة معينة أو مبادئ معينة . و يبدو المفهوم الذي يقدمه « مونكهوز » للجغرافيا السياسية هو الأكثر وضوحا على الإطلاق عندما يقول « بأنها تعني دراسة الدول و حدودها و علاقاتها الداخلية و الخارجية و تجمعاتها ، و كذلك تنوع الظاهرة السياسية فيها ، مع الأخذ بعين الإعتبار العلاقة هنا بعوامل أخرى على الأرض كسكن الإنسان ...».

و في هذا الإطار أقدم مفهومي للجغرافيا السياسية إنطلاقا من المعطيات السابقة: إن الجغرافيا السياسية علم يدرس العلاقة بين المجال الجغرافي l'espace géographique و السياسة، العلاقة بين هذا المجال و السكان و السلطة. هو بمثابة طريقة لتحليل قضايا العصر و لفهم حضارة و ثقافة الأخر. هو علم ينبني على أربعة عناصر أساسية: الصراع، المجال، الحدود الجغرافية و علاقات الهيمنة.

و تعتمد الجغرافيا السياسية على الخريطة السياسية كمصدر أساسي للمعلومة ، و يعتمد الجغرافيون على أربعة مناهج أساسية لدراسة المحيط السياسي جغرافيا : المنهج التحليلي ، المنهج التاريخي ، المنهج المورفولوجي و المنهج الوظيفي . فالمنهج التحليلي يقوم على تحليل

الخصوصيات السياسية للدول و دراسة العلاقات و دراسة العلاقات التي تربط بين مختلف القوى السياسية ، أما المنهج التاريخي فهو يعتمد على ترسبات الماضي لدراسة الأقاليم السياسية و التكتلات السياسية الكبرى ، في حين يهتم المنهج المورفولوجي بمساحات الأقاليم السياسية من زاوية الشكل و الهيئة و أخيرا فان المنهج الوظيفي يركز على الاهتمام بالوظائف التي تجري على المناطق أو الأقاليم السياسية . و للحصول على دراسة جغراسياسية ناجعة لا بد من الاعتماد على التفاعل بين مختلف هذه المناهج الأربعة ، فالواحد منها يكمل الآخر.

وقد أحدثت الثورات العربية انقلابا هاما في الدراسات الجغرافية ، إذ خرجت بها عن المعتاد و المألوف و طرحت إشكاليات جديدة تتلخص في طبيعة العلاقة بين الحاكم و المحكوم و حدة التنافس على الزعامة الإقليمية . و سنحاول عبر هذا المقال الخوض في مختلف الإشكاليات الجديدة في الجغرافيا السياسية بعد الربيع العربي مع العلم و أن هذا المقال هو ملخص لمقال طويل نسبيا.

تغير خارطة العلاقات الدولية :

عندما توسعت رقعة الثورة من مستواها المحلي إلى مستواها الوطني أو القطري إلى المستوى العالمي، برزت التأثيرات على دول الجوار العربي جلية. و ظهرت للأنظار قوى و أقطاب تتنافس على الزعامة الإقليمية و تغيرت بمقتضى ذلك العلاقات الدولية، من بين هذه الأقطاب إيران و تركيا و إسرائيل و قطر.

الطرف الإيراني يحذر من الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية على المنطقة العربية ، ويتدخل في شؤون دول الجوار معتمدا على أدواته و أساليبه المعهودة الثقافية والعسكرية والاقتصادية. وتسعى تركيا من جانبها إلى تصدير تجربتها إلى دول الربيع العربي وتقدم نفسها على أنها مثالا يحتذى به للديمقراطية والتنمية الإقتصادية. كما تقدم نفسها كنموذج للإعتدال و الوسطية يجمع بين الإسلام والحداثة يستند إلى ثالوث « الجيش والإدارة والإعتدال الإسلامي» . فالمشروع الإيراني من ناحيته يلقى صعوبات عديدة لتصدير ثورته وتدويلها ويبدو المشروع التركي الأكثر قبولا ورواجا في دول الربيع العربي ، إذ يلقى تأييدا شعبيا ورسميا وتسعى الحكومات المؤقتة والمجالس الانتقالية إلى الإستفادة من المشروع التركي لإعادة بناء الدول سياسيا وإقتصاديا وثقافيا بعد إزاحة نظم الإستبداد والطغيان. وقد بدأ القلق الإيراني جليا خاصة على إثر زيارة أردوغان لبعض دول الربيع العربي (مصر ، ليبيا و تونس) و كانت إيران ترى ذلك بأنه محاولة من تركيا لتسويق مشروعها و نموذجها و في المقابل تقليص النفوذ الإيراني. ويرى البعض أن هذا التنافس الإيراني التركي على المنطقة العربية هو تنافس تاريخي يعود إلى بداية العهد العثماني. وتبعث إيران من جديد رسالة إلى المجتمع الدولي على إثر إرسالها لبوارجها الحربية إلى البحر الأبيض المتوسط، مفاد هذه الرسالة إن إيران حاضرة للمنافسة على الزعامة الإقليمية. وهي رسالة أظنها موجهة لتركيا وإسرائيل. كما تريد إيران من وراء ذلك أن تحذر الغرب من مغبة التدخل في سوريا لإنهاء الأزمة.

و برزت قطر كفاعل أساسي في خارطة العلاقات العربية العربية و العربية الغربية، و تقدم الدبلوماسية القطرية نفسها للعالم على أنها الوسيط الأساسي بين العرب و الغرب للإلتفاف على هذه الثورات ، و تبدو قطر بالنسبة للبعض و كأنها سفارة أمريكية بالدول العربية . سفارة قادرة على مسايرة الأوضاع في دول الربيع العربي نظرا لما لديها من إمكانيات مالية هائلة ونظرا لأنها تحضى برضا الغرب عليها. فهذه الدولة الصغيرة تبدو للجميع حاضرة بقوة في المحافل الدولية بدبلوماسيتها المزدوجة التي تقوم على رعاية المصالح العربية من ناحية والمحافظة على النفوذ الأمريكي في المنطقة العربية.

وهكذا يمكن القول أن ضعف النظام السياسي العربي في الفترة الحالية هو العامل الأساسي الذي أدى إلى بروز نفوذ دول إقليمية أربعة على غرار قطر وتركيا وإيران وإسرائيل. وبذلك دخلت هذه الدول في سباق من أجل النفوذ وأضحت المناورات والمغالطات سمة واضحة في السياسات العربية بعد هذه الثورات المباركة، وغابت بذلك الخصوصية الثقافية لكل دولة عربية و تحولت الدول العربية إلى أسواق مفتوحة لترويج الإيديولوجيا الخليجية والتركية والإيرانية والإسرائيلية.

روسيا، الصين، الولايات المتحدة الأمريكية وإرادة النفوذ:

توجه العرب في الآونة الأخيرة إلى مجلس الأمن الدولي من اجل التصويت على قرار يدين نظام الأسد و إستخدامه المفرط للقوة ضد الشعب السوري و لكن العملية باءت بالفشل بفعل رفع الفيتو الروسي و الصيني بدعوى أن هذا القرار سيكون بوابة للتدخل الأجنبي في سوريا في حين أن

الحقيقة تقول عكس ذلك. إن التنافس بين هذا الثالوث الصين و روسيا و الولايات المتحدة هو تنافس تاريخي من أجل السيطرة على الشرق الأوسط ، بدأ مع بداية الحرب بين المجاهدين الأفغان و الإتحاد السوفياتي سابقا و الذي انتهى بسيطرة الأفغان بدعم أمريكي. و تواصل هذا التنافس مع بداية حرب الخليج الأولى و ظهر خلال تلك الفترة الطرف الصيني بمعارضته الحرب على العراق . لكن يبدو التقارب واضحا بين الموقف الروسي و الموقف الصيني في مختلف القضايا لكن عند دراسة التسلسل التاريخي لكلا الموقفين الروسي و الصيني نلاحظ أنهما فشلا في منع حدوث العديد من الحروب و كانت الغلبة دائما للسياسة الأمريكية.

وبعد فشل عملية التصويت في مجلس الأمن أودع الملف السوري للجمعية العامة، فصوت أعضائها بالأغلبية على مشروع إدانة النظام السوري رغم معارضة ١٢ عضوا. ولكن هل ستفشل مرة أخرى الدبلوماسية الروسية والصينية في منع التدخل الأجنبي على الأراضي السورية ؟ القرار يبقى في اعتقادي بيد الشعب السوري و مدى قدرته على إستعاب الدرس الليبي .

إعادة إحياء إتحاد المغرب العربي :

تسعى الدبلوماسية التونسية في الآونة الأخيرة إلى إعادة إحياء فكرة إتحاد المغرب العربي بأعتبار أن هذا الإتحاد في صورة تحققه فعليا يمثل قوة إقتصادية عملاقة نظرا لما تحتويه دوله من ثروات طبيعية (الغاز الطبيعي ، النفط...) . ومن خلال جولة سيادة الرئيس المنصف المرزوقي في دول المغرب نستنتج أن هناك رغبة جامحة في تحقيق هذا الإتحاد

بالرغم من الإنتقادات التي وجهت لسيادته على إثر هذه الجولة المغاربية مفادها إن الشأن الداخلي التونسي أولى من الشأن المغاربي . وأجاب سيادته بأن لا مستقبل لتونس في تونس و لا مستقبل للجزائر في الجزائر و لا مستقبل للمغرب في المغرب و لا مستقبل لليبيا في ليبيا و لا مستقبل لموريتانيا في موريتانيا و إنما مستقبل هذه الدول في وحدتها . فتونس جزء من المغرب العربي و جزء من الوطن العربي و جزء من العالم ، و لا يمكن تحقيق إصلاحات إقتصادية دون تفتح البلاد على محيطها المغاربي و العربي و العالمي .

إن عملية إحياء إتحاد المغرب العربي من قبل الدبلوماسية التونسية كانت عملية ناجحة ومثمرة بإعتبار أنه وقع إتفاق بين تونس و الجزائر حول إحداث منطقة حرة للتبادل التجاري بساقية سيدي يوسف من شأنها أن توفر ٢٠ ألف موطن شغل لأن تردي الأوضاع الإقتصادية والسياسية وإنتشار الفقر والبطالة كانت الأسباب الرئيسية لثورة الحرية والكرامة.ونأمل أن تكون هذه الخطوة متبوعة بخطوة مماثلة مع الجار الشرقي ليبيا لدفع عملية التنمية في الجنوب التونسي .

العولمة و مستقبل الأرض :

من أهم المواضيع التي يمكن طرحها اليوم في الجغرافيا السياسية ، إشكالية العولمة و إنعكاساتها على الأوضاع في العالم : إن العولمة متعددة الأبعاد (أبعاد اقتصادية و ثقافية و سياسية و بيئية...) و يتطلب كل بعد من هذه الأبعاد دراسة مفصلة نظرا لتباين تأثيراتها. و ارتبطت العولمة

بصفة عامة بدور الشركات المتعددة الجنسيات وبعمليات الاندماج الثقافي و الاقتصادي والسياسي المستمرة. وذلك من خلال مجموعة من المشاريع تقوم على تحرير التجارة العالمية و إلغاء الحواجز الجمركية ونشر الثقافة الغربية عبر وسائل الإعلام . ويصف المفكر الفرنسي « اجناسيو رامونيه » العولمة بأنها وحش برأسين: مالي وتكنولوجي . وإنها تمثل نظاما جديدا للشمولية والهيمنة تسبب في إحداث الفوضى السياسية والإجتماعية والإقتصادية في الكثير من دول العالم وخاصة الدول النامية. ويؤكد رامونيه أن العولمة لا تهتم بالبشر والمجتمعات وأولوياتها الوحيدة هي الربح والأموال، ودور البشر الوحيد هو أن يكونوا أدوات للربح و خاصة الأغلبية الفقيرة من سكان العالم التي تجاهد لتربح الأقلية المترفة وتزيد في غناها. وما نحن عليه الآن في مختلف دول العالم من أزمات إقتصادية وسياسية وثقافية هي نتيجة حتمية لهذا الوحش المسمى العولمة. ونأمل أن يتغير النظام العالمي بعد هذه الثورات من نظام يقوم على هيمنة القطب الواحد إلى نظام ينبني على علاقات الشراكة بين مختلف القوى لا علاقات التبعية والمديونية.

هذه بعض الإشكاليات الجديدة الممكن طرحها في برامج الجغرافيا السياسية و التي من شأنها أن تساهم في نشر الثقافة السياسية لدى طلاب المعرفة. هي في الحقيقة مساهمة لإبراز مدى أهمية الجغرافيا السياسية في فهم الواقع السياسي الحالي للدول العربية والنظام الرأسمالي العالمي الذي يتهاوى للسقوط بعدما إنهار النظام الاشتراكي بإنهيار جدار برلين و إنتهاء الحرب الباردة التي بقيت جذورها وتأثيراتها إلى الآن .

الجغرافيا السياسية

وحروب الجيل الرابع

تبدو الثورات العربية، في بعض جوانبها، تأسيسا لجغرافيا سياسية جديدة للعالم العربي، فهناك نظم تسقط، وأخرى تولد. وبين السقوط والميلاد، تحدث توترات عنيفة، مصحوبة بالضرورة بقدر من العنف. وبين ذلك كله، يمكن للباحث أن يخلص إلى أننا في العالم العربي نشهد تشكل جغرافيا سياسية جديدة لهذا العالم.

ولهذه الجغرافيا السياسية الجديدة ملمحان بدآ يبرزان ويتصاعدان بقوة خلال الأشهر الماضية، الملمح الأول يشير إلى أن هذه الجغرافيا السياسية الجديدة تؤسس لعنف ذي أبعاد جديدة. أما الملمح الثاني، فيشير إلى تجزئة محتملة على أسس طائفية. هذان الملمحان يبدو كذلك أنهما قد يكرسان التحاق عالمنا العربي بالغرب، وتحقيق مطامعه ومخططاته من حيث لا ندري. في هذا المقال التأسيسي والاستشرافي لتلك الجغرافيا السياسية الجديدة، يمكننا الحديث عن موضوعين رئيسيين، هما أولا: نماذج التغيير في العالم العربي والجغرافيا السياسية الجديدة للعنف، ثانيا: العلاقة مع الغرب وسياق التأسيس لتلك الجغرافيا السياسية الجديدة للعنف.

أولا- نماذج التغيير والجغرافيا السياسية الجديدة:

يمكننا القول إن هناك نماذج ثلاثة للتغيير في العالم العربي، سترسم

ملامح الجغرافيا السياسية لنعنف فيه. وهذه النماذج هي:

الثورة والعنف في مصر وتونس:

ثورات الربيع العربي في تونس ومصر تتسيد المشهد فيهما قوي اجتماعية وسياسية تنتمي للطبقة الوسطي الباحثة عن نظام أكثر حرية وعدلا. ورغم التحولات الكبيرة التي حدثت في المشهد السياسي العربي، فإن الجماهير لم تلجأ إلى العنف.كان لدينا ما أطلقت عليه "نموذجا جديدا مختلفا للتغيير"، هذا النموذج قوامه الملايين من البشر، تتدفق إلى الميادين، يقودهم شباب مستخدمين للإنترنت وللشبكات الاجتماعية الحديثة. قوة البشر في مواجهة القمع أسقطت نظما من أعتى نظم الاستبداد في المنطقة، بداية من نظام بن علي، وحتى نظام مبارك.

الآمال الكبيرة المعلقة على الثورات العربية تراجعت بعد تعثر مسار الثورة في مصر على مدي عام ونصف عام، وبينما كان مسار الثورة أكثر يسرا في تونس، واجهت مشكلات بين الترويكا الحاكمة حول قضايا متصلة بالدستور، وسيطرة حركة النهضة، وظهور التيارات السلفية الجديدة كتحد. وفي كل الأحوال، فإن الدول التي لديها مؤسسات سياسية وطبقة وسطي واسعة، كان التحول السياسي فيها من الثورة إلى الدولة أكثر أمانا وبعدا عن العنف السياسي.

هنا لدينا نموذج للثورة وللتحول السياسي، يشير إلى أن العنف لم يكن حاضرا في المشهد الثوري، وإنما قوة الشعب والشباب والجماهير في

مواجهة الطغيان والاستبداد طلبا للحرية والديمقراطية، والعدل الاجتماعي، والكرامة الإنسانية.

ظهر العنف لاحقا في حالة مصر وتونس، متخذا من لافتة "السلفية الجهادية" تعبيرا له. وهنا، يثور التساؤل: هل فتحت حالة التفكك والانهيار في الدولة القديمة، سواء في مصر أو تونس، الباب أمام القوي الإسلامية المتخذة من العنف سبيلا لها لتجد لنفسها موطئ قدم في المشهد الجيواستراتيجي الجديد؟ صحيح أن هذه القوي لم تشارك في الثورة مع الجماهير والناس، وإنما كانت موجودة على هامشها تراقب وترفع أعلامها، وتجمع قواها.

وبشكل عام، فإن انهيار النظم السياسية القديمة، وعدم اكتمال بناء النظم السياسية الجديدة فتحا الباب للقوي التي تتبني الفكر السلفي الجهادي لتتخذ لنفسها موطئ قدم، وتمثل تحديا حقيقيا للوافدين الجدد للسلطة، وهنا نجد أنفسنا أمام استقطاب إسلامي – إسلامي. فالسلفية الجهادية ترفض الديمقراطية وتراها كفرا. ومن ثم، فإن الإخوان الذين يحكمون في مصر، وحركة النهضة التي تحكم في تونس يمثلان خروجا عن المسار الإسلامي الصحيح في طريقة وصولهما إلى السلطة من منظور السلفية الجهادية.

في مصر، حيث كان الرافد الجهادي السلفي لا يزال قويا، فهناك إسلاميون جهاديون رفضوا المراجعات، ومن ثم ظلوا متمسكين بالفكر السلفي الجهادي، وقد خرجوا من السجن، كما أن صلاتهم بروافد القاعدة مفتوحة. وقد تبدي فائض القوة والعنف لديهم في عمليات عسكرية بأطراف الدولة المصرية في منطقة سيناء، حيث تغيب السلطة المركزية، ويتفشي

الشعور بالتهميش والتمييز، وحيث تسود الروح القبلية ذات الطابع البدوي المتماهية مع منطق السلفية الجهادية الأقرب إلى الفكر الخوارجي في التاريخ الإسلامي والفكر الفوضوي في التاريخ الغربي، وهو فكر يرفض السلطة والدولة، ويسعي لحالة أقرب إلى العودة لحالة البداءة الأولي منها إلى دولة حديثة.

في هذا السياق، برز الحديث عن الإمارة الإسلامية في سيناء، والهجوم على مقار الشرطة في العريش، وتفجير خط الغاز لمنعه من الوصول لإسرائيل. بيد أن عملية رفح، التي قُتل فيها ١٦ جنديا مصريا وهم يفطرون في رمضان، كانت ناقوس الخطر الأكبر في بلوغ التيار السلفي الجهادي في مصر حدا لا يمكن السكوت عنه من قبل الدولة المصرية التي يحكمها تيار إسلامي أيضا، وهم الإخوان المسلمون. وحين تفجرت مشكلة الفيلم المسئ للنبي - صلي الله عليه وسلم - فإن السلفية الجهادية اقتحمت أسوار السفارة الأمريكية في مصر، ورفعت علم السلفية الجهادية مكان العلم الأمريكي في الذكري الحادية عشرة ليوم ١١ سبتمبر. وهنا، انتقل التحدي السلفي الجهادي من الدولة المصرية إلى الولايات المتحدة، وأصبحت السفارة الأمريكية عنوانا للجهاد العولمي للتيار السلفي الجهادي في قلب القاهرة.

في تونس، ظهر عنف التيار السلفي الجهادي في البداية محتجا على عدم السماح للطالبات المنتقبات بدخول الجامعة، و على قناة "تسمة" التي شخصت الذات الإلهية، ويدعو التيار إلى إقامة إمارة إسلامية في تونس هو الآخر. كما أن تيارا لأنصار الشريعة في تونس، يتزعمه سيف الله بن

حسين المكني بأبي عياض، وهو قاتل في أفغانستان، سعي لتأسيس ما يطلق عليه "الجماعة الإسلامية المقاتلة في تونس"، وقد فتحت أجواء ما بعد الثورة في تونس، كما هو الحال في مصر، السبيل لقادة التيار السلفي الجهادي للخروج من السجن كما هو الحال في مصر.

بيد أن الفيلم المسئ للنبي – صلي الله عليه وسلم – فتح الباب واسعا لبروز تحدي التيار السلفي الجهادي لحكومة حركة النهضة الإسلامية، حيث حاول التيار السلفي الجهادي في تونس اقتحام السفارة الأمريكية، وهو ما أدي لقتل عدد من الأفراد. إن هذا جعل الزعيم التونسي لحركة النهضة، راشد الغنوشي، يقول إن التيار السلفي الجهادي في تونس يمثل خطرا على الدولة، ولابد من اتخاذ الخطوات اللازمة لمنع هذا الخطر. وفي مصر، قال زعيم التيار القطبي، عبد المجيد الشاذلي، إن التيار السلفي الجهادي في مصر هو تيار خوارجي وعبثي، ولابد من استئصاله.

انتقل فائض المقاومة في غزة إلى سيناء، حيث هناك تجاور بين التيار السلفي الجهادي في سيناء وغزة. وفي تونس، سوف نجد التجاور بين التيار السلفي الجهادي في تونس من ناحية الغرب، والفضاء الواسع الذي تتحرك فيه تنظيمات التيار السلفي الجهادي في منطقة المغرب العربي والصحراء، وهو ما قد يعني فائضا للقوة يمثل ظهيرا محتملا لدعم التيار السلفي التونسي في المستقبل في مواجهة الدولة والمصالح الأمريكية والغربية معا. كما أن التجاور الجغرافي مع ليبيا لا يمكن نكران تأثيره في التيار السلفي الجهادي في تونس أيضا.

العنف والحرب الأهلية والتدخل الدولي في ليبيا:

ليبيا نموذج مختلف للتغيير، فالطريقة التي سقط بها نظام القذافي كانت حربا أهلية، حمل فيها الشعب الليبي السلاح، وتدرب عليه بدعم غربي وعربي، وهو ما خلق بيئة مهيأة لانتشار العنف، خاصة مع غياب مؤسسات الدولة الليبية في عهد القذافي، وضعف الطبقة الوسطي الليبية، والمؤسسات الأهلية والمدنية المعبرة عنها. بدأت الاضطرابات في ليبيا في منتصف شهر فبراير في عام ٢٠١١ واستمرت لثمانية أشهر كاملة، حتي انتهت في النصف الأول من شهر أكتوبر ٢٠١١ وتدخل المجتمع الدولي بصدور قرار دولي من مجلس الأمن بتدخل قوي الناتو، وفرض مناطق حظر جوي على نظام القذافي. وظهرت قوة الإخوان المسلمين، كما شاركت وبقوة الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، التي كانت قد أعلنت أنها تحولت للحركة الإسلامية الليبية. وظهر المجلس الوطني الانتقالي كهيئة وحيدة معبرة عن الدولة الليبية، إبان الثورة وبعدها، والذي ضم إسلاميين من الإخوان، ومن الجماعة الليبية المقاتلة.

فتحت الحرب الأهلية في ليبيا الأبواب على مصراعيها على مخازن الأسلحة الليبية، والتي كانت فرصة ذهبية لتجار السلاح والمغامرين، وصناع الحروب، ومهندسي مناطق التوتر، وصانعي الجغرافيا السياسية للعنف. عاد المرتزقة الذين كانوا يقاتلون إلى جانب كتائب القذافي بأسلحتهم إلى مالي، وتحالف الطوارق الموالين للقذافي (حركة أزواد)، والعائدين بأسلحتهم مع تنظيم القاعدة (حركة أنصار الدين وحركة التوحيد

والجهاد في غرب إفريقيا)، حتي استطاعوا أن يسيطروا على شمال مالي تقريبا، ويربكوا دولا في إقليم المغرب العربي وغرب إفريقيا وحتي نيجيريا.

لم يقتصر أمر مخازن السلاح المفتوحة في تأثيره على منطقة الغرب الإفريقي وإنما امتد ليشمل منطقة المشرق العربي حتي سيناء وغزة، وبالطبع مرورا بمصر. بيد أن منطقة سيناء كانت هي الأكثر استقبالا للسلاح القادم من ليبيا، عبر طرق ومسالك يعرفها تجار السلاح. فتشبع قطاع غزة بالسلاح جعل سيناء أحد مصادر استقباله وتخزينه.

فتح ضعف بنية الدولة الليبية، وعدم استكمال بناء مؤسساتها، خاصة الجيش والشرطة، الباب واسعا لفراغ أمني، عبرت عنه بشكل واضح حادثة مقتل السفير الأمريكي "كريستوفر ستيفنز" وأربعة من الدبلوماسيين. وهنا، فإن نموذج الحرب الأهلية في التحول نحو نظم جديدة، مع ضعف مؤسسات الدولة وقواها الاجتماعية والسياسية، خاصة طبقتها الوسطي، يفتح الباب على جغرافيا عنف سياسية في محيط تلك الدولة.

وهنا، فإن ليبيا بقدر ضعف التيار السلفي الجهادي فيها فإنها ذاتها – كحالة انتقال عسرة إلى نظام سياسي جديد – تفتح الباب واسعا لاحتمالات رسم حدود لجغرافيا سياسية للعنف. وعلينا تذكر أن مقاتلين من مصر وتونس والجزائر قاتلوا في ليبيا ضد القذافي، وانتقلوا من ليبيا إلى سوريا بعد ذلك. فحالة الحرب الأهلية الطويلة نسبيا هي عامل جاذب لبناء جغرافيا سياسية ذات طابع عنيف.

العنف الطائفي والحرب الأهلية في سوريا:

يمثل الاقتتال الدائر في سوريا، الذي يتخذ صورة الحرب الأهلية الطويلة التي لا أفق لها - أو ما يمكن أن نطلق عليه الصراع الاجتماعي الممتد - أحد مصادر ترسيم خرائط العنف في المنطقة العربية. فهناك استقطاب طائفي سني - سلفي - شيعي يعيد تشكيل الجغرافيا السياسية للعنف في المنطقة، وهناك جذب لمنتمين لتيار السلفية الجهادية من الجزائر وليبيا وتونس ومصر. كما أن معلومات تشير إلى انتقال نشاط تنظيم القاعدة في جزيرة العرب من اليمن إلى سوريا، برعاية مخابراتية أمريكية - سعودية. وتشير المعلومات أيضا إلى أن العرب في منطقة وزيرستان، والمناطق التي تنشط بها طالبان باكستان، يغادرون إلى سوريا، حيث تغض المخابرات الباكستانية الطرف عنهم للتخلص منهم.

وهكذا، يمثل الشحن الطائفي المذهبي أحد مصادر الجذب والحشد في المعركة الدائرة في سوريا اليوم. نحن أمام حرب أهلية لا يريد الغرب أن يتدخل فيها، كما حدث في ليبيا، ومن المتوقع استمرارها، رغم أنها بدأت من مارس ٢٠١١ ولا تزال مستمرة، فهي الحرب الأهلية الأطول في ثورات الربيع العربي. ومن المتوقع أن تتخذ وجها طائفيا أعمق، كما يتوقع أن تظهر أدوار للتيارات السلفية الجهادية فيها أكبر، كلما طال عمرها.

هنا، العنف أكثر تركيبا، فهو عنف يتأسس على منطق طائفي، بحيث يكون القتل أو الحرب أو العنف على الهوية، وهو ما يهدد التركيبة الاجتماعية - السياسية للعالم العربي في مشرقه. ولا يمكننا أن نفصل ما

يجري في سوريا اليوم عما جري من قبل في العراق. فالعنف الطائفي في العراق أدي إلى تفكيكه وضرب وحدته برعاية أمريكية. واليوم، يجري في سوريا تطييف العنف برعاية أمريكية – خليجية – تركية.

لا أحب أن يفهم أحد من ذلك أنني ضد ثورة الشعب السوري في مواجهة حاكمه المستبد، ولكن ما يجري في سوريا ا ليوم هو تأسيس لعنف طائفي وحرب أهلية، تختبر فيها القوي الدولية والإقليمية ما يطلق عليه "حروب ما بعد الحداثة". هناك شعور بخطر تكرار التجربة الأفغانية في قلب عاصمة الأمويين، وهو ما سيقود إلى خطوط جغرافيا سياسية جديدة، ستعمدها الدماء والأفكار والعقول التي سترسم وجها عنيفا في العالم العربي لسنوات قادمة.

ثانيا – العلاقة مع الغرب وسياق رسم الجغرافيا السياسية الجديدة للعنف:

لا ترسم ملامح الجغرافيا السياسية ا لجديدة للعنف في العالم العربي في فراغ، وإنما هناك قوي ومصالح ونظم هي التي تؤسس لتلك الجغرافيا، والغرب الذي تقوده الولايات المتحدة وأوروبا هو الطرف الرئيسي في التأسيس لتلك الجغرافيا الجديدة. صحيح أن الثورات في تونس ومصر بدأت شعبية ومفاجئة لأجهزة المخابرات الغربية، بيد أن الغرب سرعان ما حاول استيعاب تأثيرها والتكيف معها لتحقيق مصالحه. وكان أهم ما عبر عنه الغرب في هذا السبيل هو التعامل مع القوة الإسلامية الجديدة القادمة إلى السلطة، بدلا من الأنظمة الاستبدادية البائدة.

كما تحدثت العديد من الدراسات الغربية عن أن النموذج الشعبي السلمي المتوافق، واسع التأييد من الجماهير، طرح بديلا عن الأصوات الجهادية التي تقصد المصالح الغربية بالاستهداف. وأشارت إحدي تلك الدراسات - وهي دراسة ناثان شيلدز Nathan E. Shields المنشورة في عدد ربيع ٢٠١٢ في مجلة " Global Security Studies" تحت عنوان "الاضطراب في الشرق الأوسط: التداعيات السياسية بالنسبة للإرهاب الدولي وسياسة مكافحة الإرهاب"- إلى أن قوة الشعب وكسر الخوف في نفسه هما الضمانة لمنع الإسلاميين من أن يبقوا في السلطة للأبد، أو أن يتحولوا إلى نظم أوتوقراطية.

وأشارت دراسات أخرى إلى ضرورة تخلي الغرب عن الحرب ضد الإرهاب، بحيث تتحول السياسة عبر العنف إلى الحرب بلا عنف للاستفادة من الربيع العربي، ويقول بات بروكتورPat Proctor في دراسته المنشورة في مجلة Strategic Security عدد صيف ٢٠١٢ تحت عنوان "حرب بلا عنف: الاستفادة من الربيع العربي للانتصار في الحرب على الإرهاب": " على الغرب أن يحرر نفسه من الحرب على الإرهاب بدعم الأصوات التي لديها القوة والقبول والجاذبية، في مواجهة السلفية الجهادية في العالم العربي". وأشارت الدراسة أيضا إلى مواجهة السلفية - الجهادية بدعم السلفية السياسية التي تتمتع بقبول واسع في الشارع العربي.

وأشارت دراسات أخرى - مثل دراسة ناهد كلباسي أناراكي Nahid Kalbasi Anaraki "الفساد والإرهاب: هل يقوضان الربيع

العربي؟"، المنشورة في "مؤشر الحرية الاقتصادية لعام ٢٠١٢" (Index of Economic Freedom)- إلى العلاقة بين الفساد وتجذره وبين احتمالات انتشار العنف في العالم العربي، ومن ثم رأت أن القضاء على الفساد واعتماد التحول الديمقراطي ودعمه هي إحدي أدوات مقاومة العنف في العالم العربي.

هذه الدراسات تعكس الرؤي الغربية للثورات العربية وعلاقتها بالعنف أو الإرهاب، الذي يهدد الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، وكيف يمكن حصاره، والقضاء عليه، والتخلص منه. نقطة الانطلاق في الرؤية الغربية لعالمنا العربي هي أمن الغرب، دون النظر إلى علاقات اعتماد متبادل ترعي المصالح المشتركة بين العالمين المتجاورين: الغرب والعالم العربي والإسلامي.

أحد مصادر الجغرافيا السياسية الجديدة للعالم العربي هي المقولات الغربية التي أطلقها المحافظون الجدد، ومفكرون غربيون كبار، أمثال برنارد لويس، وصمويل هنتنجتون، عن الإسلام، باعتباره عدوا بديلا عن الاتحاد السوفيتي القديم، وعن صراع الحضارات، وعن خطوط جديدة لجغرافيا العالم السياسية، ستكون خطوطا دموية على حدود الحضارات الكبري، و على رأسها الحدود بين الحضارتين الغربية والإسلامية. ويري العالم الإسلامي أن الغرب يستخدم معايير مزدوجة في علاقته مع إسرائيل في مواجهة العالم العربي.

يعزز تلك الرؤية صعود الأصوليات في العالم الغربي – ممثلة في الأصولية الإنجيلية وتحالفها مع الأصولية اليهودية – وتوظيف المقولات

الدينية في السياسية الخارجية، خاصة ما يتصل بدعم نوايا الكيان الصهيوني لهدم المسجد الأقصي وبناء الهيكل. ويجب ألا نتغاضي عن العدوان الغربي على مقدسات العالم الإسلامي، خاصة النبي محمدا (صلي الله عليه وسلم)، فقد اعتدت على حرمته صحف نرويجية وفرنسية، وكان الفيلم المسئ للنبي (صلي الله عليه وسلم) عنوانا للعدوان الغربي على مقدسات العالم الإسلامي، كل ذلك عزز للتيارات المتشددة، و على رأسها السلفية الجهادية، التي عجز الغرب طوال أكثر من عشر سنوات عن هزيمتها. وهنا، فإن المصادر المغذية للعنف في العلاقة مع العالم الغربي لا تزال قائمة، حيث دعا تنظيم القاعدة مثلا إلى مهاجمة الولايات المتحدة والدول الغربية، وقتل من شارك في الفيلم المسئ للنبي صلي الله عليه وسلم.

وهنا، فإن الحديث عن حلول ذات طابع اقتصادي - اجتماعي، مثل الفقر، والتهميش، والبطالة، وغياب التنافس الاقتصادي، أو الديمقراطية السياسية، يظل غير كاف في علاقة العالم الغربي بالعالمين العربي والإسلامي، ما لم يتم الحديث عن علاقة قائمة على الاحترام المتبادل، خاصة فيما يتعلق بالجانب الديني والعقدي والثقافي. لا يكفي الحديث عن دعم الاتجاهات والأصوات النابذة للسلفية الجهادية في العالم العربي، والتي تستهدف المصالح الغربية، وإنما لابد من الحديث عن احترام العالم الغربي لثقافة العالم العربي، ولنظامه الاجتماعي والثقافي وتركه وما يختار ويدين.

لابد للغرب أن يتحرر من مركزيته وهيمنته الثقافية، وفرض نماذجه في حرية التعبير على العالم الإسلامي بالاستهتار بمقدساته، وبث الكراهية

والتمييز ضد المسلمين في الغرب، فيما يعرف بظاهرة "الإسلامو فوبيا". فالعالم أصبح قرية واحدة، ولم يعد مقبولا الحديث عن الاستهتار بمقدسات أكثر من ألف مليون مسلم بحجة حرية التعبير. فأحد مصادر العنف المشكلة للجغرافيا السياسية الجديدة للعالم العربي هو العنف الرمزي في مواجهة المقدس الإسلامي، في ظل شبكات تواصل اجتماعي تجعل من المشاهد مشاركا في الحدث. فكما أن مصير العالم واحد فيما يتعلق بقضايا البيئة مثلا، فإن العالم مصيره واحد أيضا فيما يتعلق باحترام مقدسات كل أمة، وعدم ازدرائها، أو الاستهزاء بها.

على الغرب أن يدرك أن مصيره مرهون بمصائر الأمم الأخرى الكبري، مثل العالم الإسلامي، وفي القلب منه العالم العربي، ويكف عن التدخل في رسم خرائط جديدة لعالمنا العربي لإضعافه، وفرض الهيمنة، ومزيد من التجزئة عليه، فإن ذلك سيفتح الأبواب مشرعة علي حروب ونزاعات طائفية وعرقية وقومية، لن يكون الغرب ولا حلفاؤه بمنأى عنها.

المصادر والمراجع

- ناهض حتر، سوريا كنموذج قيد الاختبار، الامبريالية وحرب ما بعد الحداثة: http://www.al-khbar.com/node/١٦٦٨٥٢
  كمال حبيب، مصادر الإرهاب في مصر، دراسة غير منشورة.
- مقالة للباحث الإسرائيلي في مركز دراسات الأمن القومي الإسرائيلي ميخائيل ميلشتاين تحت عنوان "صعود تحدي المقاومة وأثرها على نظرية الأمن القومي الإسرائيلي" جريدة السفير اللبنانية العدد ١١٤٩٥ الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/١/١٨
- منذر سليمان / مقالة بعنوان "أمريكا.انعطاف استراتيجي مؤجل. لكنه قادم" ٢٠٠٩ / موقع دراسات قناة الجزيرة www.aljazeera.net
- تصريح لهيلاري كلينتون أمام مجلس العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١٣ منشور على عدة مواقع انترنت منها موقع التجديد www.attajdid.info
- يمكن فهم هذا المشروع بنموذج الحوار الذي تجريه جمعية الحوار الإنساني السويسرية مع جماعة الإخوان المسلمين وهو حوار بين الغرب وهذه الجماعة من خلال جهة ثالثة وبواجهة مدنية، وقد أفصح عن ذلك مرشد جماعة الإخوان المسلمين في سوريا في مقابلة مع جريدة الشرق الأوسط السعودية بتاريخ ٢٠١١/١٠/٩

- جارد كوهين، اختير في العام ٢٠١٠ كواحد من بين ١٠٠ شخصية غيروا قواعد اللعبة game changersبحث منشور على موقع www.wikipedia.org...
- مقالة للكاتب محي الدين الحليبي تحت عنوان "جارد كوهين..مهندس الثورات المخملية" منشورة على موقع شبكة أنا المسلم www.muslim.net
- معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى من أهم المعاهد البحثية المؤثرة في صناعة القرار الأمريكي وهو يضم نخبة من الباحثين من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي.
- دراسة منشورة في تموز ٢٠١٠ تحت عنوان "دور القوة الناعمة في الحرب النفسية على إيران" للباحث مايكل آيزنشتات المتخصص بالشؤون الإيرانية والخليجية على عدة مواقع انترنت annabaa.org.www.
- جوزيف ناي، القوة الناعمة، مكتبة العبيكان ٢٠٠٧ ص ١٢،ص٢٠ و ص ٢٧.
- مقالة لسيمور هرش منشورة في مجلة ذي نيويوركر نقلناها عن بحث بعنوان "أمريكا تعد الميدان ضد إيران" للباحث محمد عبد الحليم منشورة في موقع إسلام اون لاين islamonline.net.WWW.
- كتاب "إرث من الرماد تاريخ CIA" الصادر عن شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ط. ٢٠١٠.

فهرس

مقدمة ٥

العنف سمة العصر ٧

مفهوم حروب الجيل الرابع ١٢

حروب الجيل الرابع والحرب النفسية ١٥

مصر بين حروب الجيل الرابع والخامس والسادس ٢٠

بين الفوضى الخلاقة والتكنولوجيا ٣٠

الحرب البيولوجية وبداية حروب الجيل الرابع ٤٤

مستقبل الجيل الرابع وما بعده من الحروب ٤٦

حروب الجيل الرابع ونظرية المؤامرة ٥٩

هدم الدول من الداخل بأيدى أبناءها ٧٥

الأصول النظرية للحرب الناعمة ٧٩

الاشكالية الجديدة للجغرافيا السياسية والثورات العربية ١٣٧

الجغرافيا السياسية وحروب الجيل الرابع ١٤٥

المصادر والمراجع ١٥٨

الفهرس ١٦٠